

## الحجارة المولدة

وعبادتها عند العرب الجاهليين

من آثار المرحوم الاب هنري لامبر

٣

سنحاول الآن ، بالاستناد الى كل ما تقدم ، ان نرتقي الى اقدم المعروف عن صفة « القبة الحمراء » او القبة من آدم احمر التي كانت تحتل المركز الاول في منازل القبائل الكبرى او في احياء السادة الاشراف . وذلك زمن الجاهلية . حتى اذا جاء الاسلام ، ظلت هذه القبة على مركزها من الاهمية والرفعة في مسكرات الخلفاء والقواد ، ولاسيما في الاحوال الحرجة ، في تلك المآزق التي يكون فيها مستقبل الدولة او « قبة الاسلام » على قول بعض النصوص ،<sup>(١)</sup> عرضة للخطر ، كما حصل يوم صفين . وقد أكد بعض الاحاديث ان النبي نفسه ، ومزاحمه ميلمة الكذاب ، اتخذوا هذه العادة باستعمال القبة الحمراء.<sup>(٢)</sup> من ذلك القبة الحمراء التي نصبت للاجتماع بين ميلمة وسجاح<sup>(٣)</sup> . وقد كان

(١) الاغانى ٣٠ : ١٤

(٢) راجع *Fātima*, p. 73 الثاني : السنن ٢ : ٣٠٣ ؛ البخاري : الصحيح (Kremer) ٥ : ٨٦ . ويذكر ان النبي كان يحمل في سفره مضربه من الادم الاحمر ، ويرتدي الاحمر ؛ الواحدى : اسباب التورول ١٥١ ، البخاري : الصحيح ( طبعة القسطنطينية ) ١ : ٩٩ ؛ ابو داود : السنن ( مخطوطة باريس ) ١٠٤ وجه ، السيوطي : الموضوعات ١ : ٣٢٠ . وهناك امثلة اخرى : في زمن الحج ( ابن سعد : الطبقات ٣ : ٨٨ ؛ اسد الغابة ١ : ٢٥١ ) . في تبوك ( ابو داود : السنن ( طبعة الهند ١ : ١٩٩ ) . في حنين ( البخاري : الصحيح ( القسطنطينية ) ٢ : ٥٠ ، سلم : الصحيح ١ : ١٩١ ، ١٩٢ ) . في المحدث ( السيرة الحلية ٣ : ٣٥٤ ) .

(٣) الاغانى ١٨ : ١١٦ ؛ وراجع *Fātima*, p. 6٢ . وكان لعمر بن ابي ربيعة « قبة حمراء من آدم » يتخذها زمن الحج . الاغانى ١٠ : ٥٣ . وهو تقليد مأخوذ عن « الحس » ، ان لم يكن اضافة احد الرواة السنتين بالشؤون القديمة

النبي يقدر ، دون شك ، أهمية المظاهر الخارجية . بيد انه ، في اتخاذ القبة الحمراء كان يرمي الى اضعاف الخصائص الدينية الجاهلية باخضاعها لشخصيته ، وتحويلها عما كانت ترمز اليه .

وهكذا كان بشأن كلمة « الرب » التي اصبحت ، في لغة القرآن ، تعني لقباً دينياً فقط . وغدا النبي يحتج على استعمال « الكاهن » وما شاكل من الاسماء التي كانت تفيد ميزة تعاقية في العصر الجاهلي . حتى انه منع استعمال كلمة « الرب » في العلاقات الاجتماعية<sup>(١)</sup> . وقد دعا نفسه « الحكيم » في العهد ، يوم استلام المدينة ، وهو الحاكم المطلق الذي يجب ان يطيعه جميع المسلمين ، بعد ان يطيعوا الله : « اطيعوا الله واطيعوا الرسول » .

اما القبة فعاشت بعد كل هذه التطورات . وقد رأينا ان استعمالها الاول قديم يرقى الى عهد كان سيد القبيلة يضرب خيمته الى جنب « البيت » او الحجر المؤله الذي كان من حقه وواجبه ان يحافظ عليه<sup>(٢)</sup> . ويذكر ولورسن<sup>(٣)</sup> « الآلهة المزلية » ويقول انها كانت في حوزة السيد . وكلها آراء عرضة للشك والخطأ كانت نتيجة الذرع وعدم التدقيق في درس ولورسن ومن سبقه من مؤلفي المسلمين لدور « القبة » الحقيقي في دين الجاهلية . ونحن لا نرى اي ذكر « للآلهة المزلية » ، كما يفهمها ولورسن ، الا في الاساطير المعروفة في « السيرة » و « دلائل النبوة » وهي اخبار تكتنف صحتها بكثير من الشك . وفيها روايات عن اعمال المؤمنين الاولين وانتقامهم من الاصنام بتكبيرها واحراقها ، وهي من الحجر ا . حتى تصبح هذه الغيرة على تحطيم الاصنام من الالهة التي يتنازعها رجال الطبقات<sup>(٤)</sup> .

(١) مسلم : الصحيح ٢ : ٢٦٩

(٢) كان السادن بنام قرب الحجر المؤله . وفي اسد الغابة ٤ : ١٥٣ : « بنت انا في بيت العثم . » اي في القبة - المظلة .

(٣) Wellhausen , Reste, 49 ...

(٤) ابن سعد : الطبقات ٣ : ٣٤ ، ٥١ ، ٦٩ ، ١١٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٤٠ ، ١٤١ ؛ ابن هشام : السيرة ٢٥٤ ، ٢٠٢ ، ٨٣٢ ؛ اسد الغابة ٣ : ٥٥ ؛ السموودي : الرقاب ١ : ١٧٨ ؛ معاصر المنديسي ٥ : ١١٢

اما الحقيقة فهي ان الأشراف كان من حقهم، لا امتلاك « الآلهة المزلية » ، بل المحافظة على البيت او الخجر المزلّ . وهم يحرسونه لا في المنزل او المضرب بل في القبة الخاصة به ، وهي قبة القبيلة . وكانت هذه القبة تُضرب الى جانب خيمة السيد . وهو معنى المزلية الخاصة بالقول ضربت عليه القبة<sup>(١)</sup> . وفي بعض الاحايين يفسر النص ، بان هذه القبة هي التقليدية المتوارثة فيقال : « ضربت عليه القبة الحمراء » ، وهي قبة مضر الحمراء ، المقدسة التي انتقلت جيلاً فجيلاً الى ممثل السيادة في المجتمع البدوي<sup>(٢)</sup> . ويمكن الملاحظ ان يرى صلة دائمة بين انتقال البيت وامتلاك القبة<sup>(٣)</sup> . حتى ان الواحد لا يكون دون الآخر ، او يبقى عتياً لا منفعة منه . اما اذا اجتمعا للرجل فانه يضمن لقب « السيد » او « الرب » خاصة<sup>(٤)</sup> . ويصبح هو وذوره ، حراس او حطّاط الحجر المزلّ لا يدافعهم في ذلك احد ؛ وهو معنى القول السائر : « هم البيت غير مدافين »<sup>(٥)</sup> ، مقتضياً من القول : « هم ارباب البيت غير مدافين . »<sup>(٦)</sup> بهذا المعنى يمكن القول ان الآلهة ، وبالتالي القبة ، كانت في ايدي الاشراف<sup>(٧)</sup> او سادة الاسر الارستوقراطية ، اي البيوت<sup>(٨)</sup> ، كما قيل في ما بعد .

ونتيجة اخرى لهذا الامر أنه ليس في القبيلة المجتمعة من اصل واحد ، الا « بيت » واحد ، او « قبة » واحدة . واذا فن الاعتباط ان نتكلم عن « الآلهة المزلية » او عن العبادة الفردية . فان عربي جاهلية لم يعرف الا العبادة الشاملة ، تلك الشماز التي تقوم بها القبيلة بكاملها في ظروف خاصة ومظاهر قليلة كانت

(١) قابل بما في الاغاني ١٢ : ١٠٥

(٢) البكري : المعجم ٣٤ ، ١٥ ، ١٦ ؛ Chroniken, II, 141

(٣) البكري : المعجم ٣٤ ، ٤٦٤ ، ١١ ؛ ناضح جرير والنزديق ٦٧١

(٤) راجع Chroniken, II, 141 وقد تشمل كلمة « رياسة » مرادفة لهذه الصفة .

(٥) ابن دويد : الاشتقاق ١٧٢ ، ١٨٠

(٦) راجع Bercan, I, 268

(٧) يشير ولوسن الى هذا الامر (ص ١٦) دون ان يستخرج النتائج التي لم يتنبه لها .

(٨) ابن هشام : السيرة ٣٠٣ . اما بشأن « البيوتات » فراجع ابن دويد : الكتاب

المذكور ٢٢٨ ؛ Bercan, 316 ؛ لسان العرب ٣ : ٢١٩ ، وفيه يقال : « فلان بيت قومه » .

كافية لاستنفاد جلده التقيوي . وكان اذا خاف تأثيراً سيئاً من بعض القوات اللابصرية لجأ الى التانم ، وهي افضل وانجح في نظره من وجود قائل الآلهة في خبائه او داره .

ولنسأل الآن هل تذكر « الحديث » هذا الماضي العريق المصطبغ بعض الشيء باليسرك ، عندما جعل النبي يشجب اللون الاحمر بكونه لون الشيطان المفضّل ؟<sup>(١)</sup>



ان « البيوت » المنتقلة او الحجارة المحمولة ، والقبب - المظال عملت على تعزيز الطرافات الدينية<sup>(٢)</sup> . وذلك ان الحجارة المؤتمة لم تكن لتُنقل الا في موكب من الكهّان والكاهنات والسدنة ومن اليهم من ذوي العلاقات المباشرة بالقوة الالهية . وفي اي زمن اقلع العرب عن اتخاذ الحجارة الثقالّة ؟ لا شكّ انهم اقتروا شيئاً نسيئاً من هذا الأمر في تطوّر متتابع حتى انه كان على تقدّم ، قبيل الهجرة ، ولاسيا في الحجاز وما جاوره من اطراف نجد وهي المناطق التي كانت مهد الإسلام ، وبالتالي فهي التي تهنتنا وحدها في ابحاثنا هذه<sup>(٣)</sup> ، كما انها كانت موضوع انتباه الأثريين الإسلاميين ومؤلفي السيرة . ولا يخفى ان وجود بعض الحجارة المؤتمة في عكاظ يوافق ما نعرفه عن صفات الأسواق العربية من أنها كانت ايضاً اماكن للعبادة . وقد كان لعكاظ حرّم ، على قول الاغالي<sup>(٤)</sup> . وقد يكون وجود اللات والعزى في أحد آخر مظهر لمرض هذه « البيوت » او الحجارة المؤتمة . فيكون ان سراة مكة ، وقد منوا بانكسار بدر فتداعت اركان جمهوريتهم ، شاوروا هزّ الشعور القومي هزّاً عنيفاً ، فلجأوا الى احياء هذه المآثر القديمة في مظاهرة غريبة يدفعون بها الوطنيين الى التأثر

(١) اسد العابة ٥ : ١٢ ؛ راجع *Fitima*, 71 . واطلب في شأن قبة النبي الحراء ، البخاري : الصحيح ١ : ١٠٧ ، ٢ : ٢٨٩ ، ٢٦٨ .  
 (٢) قابل بالتعبير « قبة الاسلام » ، الشاعر عُدَيْل في الاغالي ٢٠ : ١٤ ؛ « وقبة الكرم » الاغالي ١٤ : ١٠٥ .  
 (٣) وهكذا فانا نصل بلاد اليمن ، وهي تختلف في ما خصّ مآثر التطوّر الديني .  
 (٤) الاغالي ١٠ : ٢٦ .

يرأى آفة مدينتهم المريعة ، فاستعادة الثقة بها والايان بتأثيرها ، بعد ان كاد هذا الإيمان يتحى بما فطر عليه البدوي من عبث وعدم تقوى . بيد اننا في هذا البحث ايضاً زاننا مضطربين الى الأخذ بنصوص متقوصة لم يبق منها الرواة الأتولون إلا ما شامت ترعاتهم .<sup>١١</sup> وقد كانوا مدفوعين الى تجاهل هذا الماضي الجاهلي ، ولاسيما في ما خص النظام الديني ؛ فلم يبقوا من النصوص والوثائق القديمة إلا ما وافق فكرتهم او فكرة من أثر عليهم من ارباب السلطة . وكلها ترمي الى تناسي « القيب الحمراء » « فخر العرب »<sup>١٢</sup> « ومجد الجاهلية » ، كما يقول الفرزدق ، وما الى ذلك من المظاهر المكية في طوافات رجب « والتآثر » الدامية ، والاختلاطات الصاخبة التي أنف منها النبي لما فيها من دلائل الشرك الوثنية . ويجب الآنسو عن مثل هذه الأمور كلما طالعنا القرآن . وليس فيه ذكر « لليوت » بمعنى الحجارة المؤهّلة ، ولا « للقباب - المظالم » .

### ⑤

ظلت الحجارة المدينة مدةً طويلةً تحتلّ فناء الكعبة ، اي الساحة المحيطة بها<sup>١٣</sup> . على انها لم تبلغ ذاك العدد الكبير الذي ترقى به الاسطورة الى ٣٦٠ يحطها النبي يوم الفتح . وكان ذاك الفناء الضيق ، وقد حصرته المنازل المتقدمة من كل جهة ، يكون « مسجد الكعبة » ومجتمع القرشيين . ويؤمن القرشيون ان نظام مجتمعهم هذا ، او دستور جمهوريتهم ، يرقى الى جدّهم قُصي . واليه ينسبون كل ما يأخذون به او يطبقونه عليهم من مواسم وقوانين وشعائر مدنية ودينية<sup>١٤</sup> . وقد يكون قُصي ، عندما شا . ترمم الكعبة<sup>١٥</sup> ، انتخب

١١ فلم يروا في قبة بيبة الا الملاجأ . وقابل بما في قول ابن دريد : الكتاب المذكور ، ص ٢١٥

١٢ الجاحظ : الحيوان ١٤٣:٥

١٣ وهو ما يسمى « مسجد الكعبة » ، امد الغابة ٥٧:٤ . وبعض الروايات نفع المعجزة داخل الكعبة اي ضمن السور الحجرية ، لأن الكعبة لم يكن لها اذ ذاك سقف ولا بلاط .

١٤ قابل بما في حسان بن ثابت : الديوان ١٧٤:٥

١٥ ابن دريد : الاثنان ٩٧ . وقد يكون قُصي غير في مساحة الفناء ، وزاد في بناء الكعبة .

عدداً من تلك الحجارة المكرمة<sup>(١)</sup>. من ذلك اننا رأينا ، بعد الترميم ، الى جنب الحجر الاسود ، وهو اهمُّ مؤنَّهات قريش ، عدداً من « البيوت » و « الاركان » و « الحجارة » تحتل جوانب الكعبة . ويبدل التقليد السنني جهوداً كثيرة في سيل ستر هذه المظاهر الانتقائية في الدين ، بعد ان دلَّ عليها الترادف اللغوي ، كما دلَّ عليها عدد الحجارة المحفوظة مكرمة في الإسلام الموحد . فيحاول التقليد حصر انتباهنا في الحجر الأسود وحده . بيد ان الشعراء الجاهليين لا يهتمون بهذه المرامي المتأخرة عن عهدهم . وهم ، ان لم يذكروا الحجر الأسود ، فلأنهم لم يسمروا بعلاقته بالتوحيد الابراهيمي ، بل لم يتصوروا وجود هذه العلاقة ، خلافاً لما يزعمه ابن هشام<sup>(٢)</sup>. وهم ، فوق ذلك ، يذكرون ، غير الحجر الأسود ، من المعبودات في مكة . يشهد بذلك هذا البيت لحسان بن ثابت ، شاعر النبي ، في هجاء بني هذيل :

وما لهم ، اذا اعتزروا وحجوا ، من الحجرين والمس نصيب<sup>(٣)</sup>

والقصيدة متأخرة بضع سنوات عن زمن الهجرة ، كما يظهر من النص نفسه . وقد اوحى بنا امر « الرجيع »<sup>(٤)</sup> ، موحى سائر الاهاجي الموجهة الى بني هذيل . اما « الحجران » فقد نظن انهما الصفا ومررة<sup>(٥)</sup> ، لولا ان القرآن سماها « المشعرين »<sup>(٦)</sup> ، وجرى الشاعر المدني نفسه على هذه التسمية في احسن قصائده<sup>(٧)</sup> . واه « المسمى » فقد يمثل طوافاً غير طواف الصفا ومررة . وكانت الحجارة المصطفة في فناء الكعبة<sup>(٨)</sup> عرضة للسير التي كثيراً ما

(١) كان النبي يكرم خاصة الحجارة الموجودة « من نحو دور الجسجين » ؛ مسلم ،

الصحيح ٤٨٧:١ -

(٢) السيرة ٥٥

(٣) ديوان حسان ٢: ٦٨

(٤) ابن هشام : السيرة ٦٢٨

(٥) وكلتا اللفظتين تفيد . في « الحجر »

(٦) القرآن ٣ [ البقرة ] ١٥٢

(٧) راجع ديوان حسان ٢: ٨٨

(٨) راجع مسلم : الصحيح ٨٦: ٢

لطختها بالوحل ، او جرتها الى اماكن بعيدة<sup>(١)</sup> . فوجب من ثم العمل على وقايتها . واهياناً كانت مياه السيل تدخل الكعبة ، وتخلخل آسائها . فيقوم القرشيون على ترميمها دون اهتمام بجدن الهندسة احياناً<sup>(٢)</sup> . وقد جرت احدى هذه الترميمات في حادثة النبي ، فأعيد الحجر الأسود الى مكانه من جدار الكعبة<sup>(٣)</sup> . على ان السيرة تتناسى مصير باقي الحجارة او « الاركان » فلا تذكر عنها شيئاً . ولا يشير « الحديث » الى عدد « الحجارة » الموجودة في بناء الكعبة<sup>(٤)</sup> .

ولم يكن هذا العدد بالقليل . ولا تنس ان ارباب الاحاديث يحملون منها ، امام النبي يوم الفتح ، ٣٦٠ ، وهي « الانصاب » التي تركت في فناء الكعبة الضيق ، على قولهم<sup>(٥)</sup> . وقد استفادت المجموعات من المعنى المزدوج للفظ « ركن » ، وهي تفيد « الحجر » و « الجهة » او « الناحية » . وهكذا غدا الحجر الاسود يُدعى « ركناً » او « الركن » على الاطلاق<sup>(٦)</sup> ؛ مما يدل على ان « الركن » كان مشهوراً في مكة بمعنى الحجر المزلّث .

(١) ابن سعد : الطبقات ١ : ٦٢ . حصل سيل جارف على عهد المأمون ؛ الملاحظ : الحسن ، ١٩ . وقد عرضنا الى ذكر هذه السيول المؤذية في بحثنا عن « مكة قبيل الهجرة » ص ١٠٢ وما بعدها .

(٢) مما اثار احتجاج النبي ، راجع جغرافية المندي ، ص ٧٤

(٣) ابن هشام : السيرة ١٢٢ . ولا ينبغي ان ابن اسحق ، وهو من موالي الباسيين ، يميل ، في هذا الخبر ، الى تأييد الدعوة الباسية اكثر منه الى الدقة التاريخية .

(٤) وكثيراً ما نرى الاشارة الى هذه الحجارة بصيغة الجمع فيقال : « الاركان » . وفي سنن ابي داود ١ : ١٨٧ يُذكر « ركننا » السن . قابل بما في رحلة ابن جبير ٨٣ . وهناك ذكر « لحجارة » داخلة في بناء الحناط . اطلب . Snouck Hurgronje, Mekka, I, 2. وابن هشام : السيرة ، ٣٩ . وفي طبقات ابن سعد ١ : ٦٤ : « الله ذو الاركان » في قصيدة منسولة الى عبد المطلب .

(٥) راجع البلاذري : فتوح البلدان ٤٠ ؛ ابن حنبل : المستدرك ١ : ٣٧٧ ؛ مسلم : الصحيح ١٦ .

(٦) راجع مثلاً ابن هشام : السيرة ٧٨٩ وفيها يُسى : « الركن الاسود » . ابن

الانثير : النهاية ٢ : ٤٧ ؛ كتب الصحيح والسنن في « كتاب الحج » ؛ ثم مسلم : الصحيح ١ :

٤٨٧ ؛ Chroniken, II, 138 ؛ البخاري : الصحيح ٣ : ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ؛ ابن سعد :

الطبقات ١ : ٩٢-٩٤

ويظهر ، في زمن الهجرة ، انه كان لاكثر الأسر القرشية المهمة «اركان» خاصة ، تنفرد كل واحدة بركن منها . وقد ذكر منها «ركن بني جُبَيع»<sup>(١)</sup> . على ان المفسرين حاولوا تخفيف هذا التعمد في مصبوبات القرشيين ، فزعموا ان ليس الركن هنا بمعنى «الحجر المؤله» بل بمعنى الجهة او الناحية من الكعبة «من نحو دور الجُمَيعين»<sup>(٢)</sup> . وقد نفهم من هذا كيف عملت الأسر المكية الكبرى على اقامة انديتها او مجالسها في فناء الكعبة ، كل واحدة بقرب مصوبها او حجرها المؤله ، دون شك . وهناك ذكر للحجر الاسود والذي بجراره<sup>(٣)</sup> . على ان الذكر المستفيض في كل هذه المجموعة الحجرية في فناء الكعبة يختص به «الركنان اليتيان»<sup>(٤)</sup> . وقد شاعت احدى الروايات ان تحولها الى «ركن يميني او يميني» واحد<sup>(٥)</sup> . وهناك ذكر لحجرين يُكرمان في الصفا وسروة<sup>(٦)</sup> . ولغيرها من الحجارة المزودة<sup>(٧)</sup> .

يتبع مما تقدم الميل الى تكريم الاركان مزدوجة . وهذه الفكرة في الازدواج هي التي اثرت في الطوافات المكية من «عمرة» و«دَوَار» و«مسمي» . ولم تختص مكة بهذا الازدواج . وقد رأينا مظاهره في غير مكان من البلاد العربية<sup>(٨)</sup> : في معركة أحد مثلاً . وفي بيئة القطعة الخزفية التي درسها الاستاذ كومون . ومن السهل ان نعدّد الامثلة والشواهد على هذا الازدواج في عبادة الجاهليين ، وعلى ميلهم الى ذكر الحجارة او المعابد مزدوجة . وهذا حان يت

(١) البناوي: مسابيح السنّة ١ : ١٢٥ ؛ النسائي : السنن ٢ : ٢٦ ؛ مسلم : الصحيح ١ : ٤٨٧

(٢) مسلم : الصحيح ١ : ٤٨٧ ؛ النسائي : المكان المذكور .

(٣) مسلم : في المكان المذكور .

(٤) او «الركنان» فقط ؛ البناوي ١ : ١٢٤ ؛ ابن هشام : السيرة ١٢٤ ؛ مسلم ١ :

٤٨٦ ، ٤٨٧ ؛ ابو داود : السنن ١ : ١٨٧ ؛ النسائي : السنن ٣ : ٣٤ ، ٣٩ ؛ الدارمي : السنن

(مخطوطة مكتبة القاهرة) ٢٦٣ . وفي صحيح مسلم ١ : ٤٨٧ : «الركن الاسود وركن

بني جُبَيع» .

(٥) مسلم ١ : ٤٨٧

(٦) الطبري : التفسير ٣ : ٢٨

(٧) الدارمي : المخطوطة المذكورة ٢٦٣ ؛ النسائي ٣ : ٢٤ ، ٢٩ ؛ ابن هشام : السيرة ٢٢٨

(٨) ديوان حسّان بن ثابت ٢ : ٦٨

ثابت يُسَمَّى مُطْعَمُ الْمَكِّي « رب المشعرين »<sup>١</sup> ، وقد ذكرنا له بيتاً يشير فيه الى « الحجرين » . وهذا شاعر مدني آخر ، قد يكون تأثر به حسان ، وهو ابن الخداديّة ، يذكر « ساية بين المشعرين »<sup>٢</sup> . ونُشِرَ الى الازدواج المعروف في الصفا ومروره ، وفي عَرَقة والمزْدَلَّة ، وأخيراً في « القرنيين » ، سَجْرِي الحليّة المكرميين ، المصطفين بالدم كما يدل اسمها . وقد يكون هذا الازدواج القديم أثر في تصميص التعبير الاسلامي « الْمَسْجِدَيْن » الدال على مكة والمدينة<sup>٣</sup> . وكان من عادة الجاهليين ، في الأيمان المظنمة او في الاتفاقات المشهورة ، ان يفلوا بما زَمَزَمَ « أركان البيت » ثم يوزعون ماء الفسيل على ارباب المقد فيشربونه<sup>٤</sup> . رأينا ان الازدواج غالب في ذكر الحجارة . على ان كثرتها وتنوعها يميز الجبع في لفظة « الأركان » . ونُشِرَ الى النص الذي يذكر فيه « ركنان » مجاوران للحجر الأسود<sup>٥</sup> . ألا ان يكون المعنى ركنان مجاوران لِحجر<sup>٦</sup> . وكلتا القراءتين ممكنة . ومما يكن من موقع هذه الحجارة فان جميعها جدية بالتكريم تكريم الحجر الأسود نفسه . واذاً فلا غرابة ان يكون معاوية وابن الزبير يكرمان جميع « الأركان » الداخلة في حيطان الكعبة دون تمييز<sup>٧</sup> . وهي عادة لا شك في تأثرها بالعادة الجاهلية<sup>٨</sup> ، شارحة

(١) ديوان حسان بن ثابت ٢: ٨٨

(٢) الاغانى ٦: ١٣ ، ٦: ٣٤

(٣) قابل بما في القرآن ١٦: ٥٥-١٧ وفيه ان الله رب « المغربين والمشرقين »

(٤) الاغانى ١٦: ٦٦

(٥) أمر حجر ام حجر؟ راجع مسلم . الصحيح ٥١: ٢ ، النسائي : السنن ٢: ٢٤٠ . ويذكر البتوني في « الرحلة الحجازية » ص ١٠٥ ، حجراً في الركن اليماني اسمه « الحجر الأسود » .

(٦) البخاري : الصحيح ٢: ١٥٦ . ويظهر ان النبي والصحابة كانوا يكرمون جميعهم

هذين الركنين ، أسد الغابة ٣: ٢٤

(٧) البخاري : الصحيح ٢: ١٦٢ ؛ ابن حنبل : المسند ٦: ١٤-١٥ ، ٦٨ . ولا يخفى

ان معاوية وابن الزبير يمثلان ، في نظر ارباب الحديث ، ترعتين متماكنتين

(٨) راجع الجدال في ذلك في ابن الأثير : النهاية ٦: ١٦٢ . وقد ينتج من ذلك ان النبي

لم يكرم الا « الركن الغربي »

كيف اصبح « المسجد الحرام » ، وقد احتل وسطه « بيت الله » ، المبد الوطني الجامع آلهة قريش وقبائل تهامة<sup>(١)</sup> .

⊕

والخطيم الواسع الذكر في الأيمان الشمرية ؟ ان التيوم المتركة بالشروح المختلفة لاكتف من ان تسمح لنا بتحديد طيبة « الخطيم » واحده<sup>(٢)</sup> . هل هو حائط الكعبة المجاور للجِجر<sup>(٣)</sup> ؟ ام هو مرادف جِجر؟ وهكذا زى النبي يقوم في الخطيم<sup>(٤)</sup> بالشائر التي تُقام عادة في دائرة الجِجر<sup>(٥)</sup> . هو شرح لا خطر فيه أقره ارباب الحديث ، واخذ به وهوسن من بعدهم<sup>(٦)</sup> . وقد آيد رأيه بالتصير « حطيم البيت » . قلنا: وهي طريقة لم يكن لينكرها ابن دريد وابن سيده وامثالهما من هواة « الإشتاق » والتخريج .

اما نحن فلنكي نتمكن من اقرار نتيجة كهذه يجب ان يثبت لنا ان الجِجر كان منذ القديم تسمياً من الكعبة . من الحق ان احد الاحاديث يقول بهذا . ولكن اي قيمة تاريخية له ؟ ثم ان وهوسن يذكرنا برأي معاصري النبي ان الخطيم اسم شيطان او صنم<sup>(٧)</sup> . واذا فكيف نوفق بين معادلة الخطيم

(١) كسبي خزاعة وغيرهم من القبائل المجاورة الذين كانوا في مكة قبل القرشيين ، وتركوا فيها آلتهم .

(٢) اما في يومنا فلخطيم والجِجر واحد . راجع L. Roches, *Dix ans à travers l'Islam*, 297-298 ؛ اطلب ، في رحلة ابن جبير ، المقاطع المذكورة في الفهرست وزد عليها ص ١٠٣ ، ١٨٠ ، وفيها ان الخطيم هو التبة التي يتف فيها ائمة المذاهب السنية الاربعة . وكذلك في رحلة ابن بطوطة ١ : ٢٧٤ ، ٣٩٢ ، الذي كثيراً ما نقل عن ابن جبير ، راجع في ذلك الانتقادات المنشورة في *Journal Asiat.*, 1918, p. 474

(٣) ابن هشام : السيرة ١٢٤ . قابل بالرأي المنسوب الى ابن عباس : الخطيم الجِدر يعني جدر الكعبة . ياقوت ٢ : ٢٩٠ . اما الجِدر فعناه الجِجر . البخاري : الصحيح ٢ : ١٥٦ ؛

ابن الأثير : النهاية ١ : ١٤٨ ، ١٥٠ . ابن ديبع : تيسير الاصول ٣ : ٢٢٤

(٤) ابن هشام : السيرة ١٧١ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٢٦٤ ؛ ابن حنبل : السنن ٤ : ٢١ ؛ الطبري : تاريخه ١ : ١١٥٧ ؛ البلاذري : انساب الأشراف ١٦٢ وجه ؛ مسلم : الصحيح ١ : ٨٢

(٥) Wellhausen, *Reste*, 74 ؛ ابن الأثير : النهاية ١ : ٢٢٧

(٦) *Reste*, 74, n. 1 وفي ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٢٩٠ ان الخطيم « ما بين الركن

الاسود الى الباب الى المقام حيث يتحطم الناس للدعاء . وقال ابن دريد : كانت الجاهلية

للحجر<sup>(١)</sup> ، وهذا الرأي الأخير<sup>(٢)</sup> ، واقوال الشمران وتلبيحاتهم<sup>(٣)</sup> . فان اقوالهم الغامضة ، التي زادها التباساً واضطراباً عمل الرواة والشراح ، تضع « ركن الحطيم »<sup>(٤)</sup> الى جنب « رب مكة » فيكون الحطيم « ركناً »<sup>(٥)</sup> اي حجراً . ولا يخفى ان الكلتين مترادفتان في مكة . وهل نخطئ ، بعد هذا ، اذا اعتبرنا وجود حجر مؤله او مبود لم يذكر في لائحة « الحجارة » ، اسمه الحطيم ؟

وكان ينافس سائر « اركان » الكعبة في احترام الشب فيكرمه الحجّاج تكريمهم « رب البيت القتيق »<sup>(٦)</sup> . ومن اضطراب الشراح ان بعضهم لجأوا الى

تتحالف هناك يتحطّسون بالأيمان . وكل من دعا على ظالم وحلف انما عجلت عقوبته . « (كذا!) وفي اشتقاق آخر ، في الموضع نفسه : « سُمي حطيماً لان البيت رُبِعَ وترك مطوراً . »

(١) راجع جغرافية المنسفي ٧٢ ، ٧٥ وفيها انه الحجر اي الناحية « مما يلي الميزاب . » اطلب باقوت : الموضع المذكور ؛ ابا تمام : المائة ٧١٠ : لسان الرب والتساج في مادة حطم . على ان هذا « الميزاب » لا يرق الآ لسنوات قليلة قبل الهجرة ، لأن الكعبة في الأصل « لا سقف عليها » . وقد اورد اللسان عن ابن سيده انه سُمي الحطيم لانهم كانوا يخافون عنده فيحطم الكاذب » وزاد على هذا الشرح انه « ضيف » . اما الهداني في « جزيرة العرب » (ص ٢٧٢) فانه يميز بين الحجر والحطيم . وهناك غير ما تقدّم من شروح واشتقاقات في لسان الرب ٨ : ٢٩ - ٣٠ ؛ وتاج العروس ٨ : ٢٥١ ؛ وقد خص Lane, Lexicon نحو اثني عشر منها .

(٢) اصف اليه الرأيين التاليين : ١ الحطيم ما بين المقام او الباب . ٢ الحطيم ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر ؛ باقوت : ك . م . ٣ : ٢٩٠ - ٢٩١ ، ٢٩٦ ؛ ابن سلوة : رحلته ١ : ٢١٦ يحمل الحطيم ومقام ابراهيم واحداً

(٣) ابن ماجم يعلق قرب الحطيم بانه يقتل علياً ، الطبري : تاريخه ١ : ٢٤٦٤ ؛ ابن الأثير : الكامل ٣ : ٢٢٢ ؛ ولا يمكن استنتاج شي . في تحديد الحطيم من قول ابي داود : السنن ١ : ١٨٩

(٤) وقد ورد في بيت للحزير ، في حمة ابي تمام ، ٧١٠ . واذاً فلا يمكن جعله الحجر نفسه ، وليس الحجر بركن . اما بشأن نية البيت فراجع الاغانى ١٤ : ٧٨ ، ٧٦ . ولا ينفي ذلك المادلة بين الحطيم والحجر الاسود . وليس لنا نتيجة من قول الاغانى ١٣ : ٤٠

(٥) في بيت منسوب للفرزدق ، الاغانى ١٩ : ٤١ ؛ وفيه ان الحطيم يقبل وهو حمل لا يصح بالنسبة الى الحجر .

(٦) الاغانى ١ : ١١١ ، ١٥٢ ، ١٤ : ٧٢

التوحيد بين الحطيم والكعبة . وقد يكون من أثر هذا الجمع ذاك الحديث الذي عدّه السيوطي بين « الموضوعات » والذي ينسب الى النبي قوله ان درهم الرّبا افظع من ستة وثلاثين زبّي في الحطيم .<sup>(١)</sup> على ان هذه المحاولة في التوحيد بين الحطيم والكعبة تصطدم بوجود التمايز القديمة من مثل « حطيم البيت » و« حطيم الكعبة . » وكلها تفيد علاقة لا معادلة بين الأثرين . وهذا التمييز الاخير وارد في بيت شعر قديم يذكر الحطيم . وضاً للأيمان<sup>(٢)</sup> . وسرع ما يتعقّق المطالع تجاه هذه الشروح والتفاسير المتعدّدة اضطراب الرواة والمحدثين واجتهادهم في تغطية ما قد يُشتمّ منه رائحة الشرك .

وقد رأينا الكثير من هذه الحجارة المحفوظة في جوانب الكعبة تتشعّ حتى يومنا بظواهر التكريم كما يتمتع بها الحجر الأسود . اما شكل الكعبة القديم مجردانها للمساء ، الخالية من السقف ، المفتوحة لاستقبال الحجارة المولّية ، فانه يرقى ، على الاربع الى عهد الترميم الذي قام به قصي . وفي ذاك العهد أُحدثت منشآت مختلفة بجوار الكعبة ، كدار الندوة<sup>(٣)</sup> . فقدت الكعبة مع فنائها الدائر بها المستعمل للطواف الديني ، تكون المسجد الارستوقراطي ، او المبد الحاصّ بابنا . قصي الذين كانوا يمارون عليه ويقومون بخدمته وحراسته<sup>(٤)</sup> . اما ما سوى ذلك من تزيخ تطوّرات هذا البناء في العهد الجاهلي فلا نعرف عنها شيئاً . وليس في مرويات الأزرقى واساطيره التي جمعها في القرن الثالث للهجرة ما يفيدنا شيئاً في هذا النقص . واذاً فترانا مضطرين الى ترك البحث عن اصل « الحجر » الغريب<sup>(٥)</sup> ، وغايته ، وعن ذاك الجدار القليل الارتفاع المستدير

(١) السيوطي : الموضوعات ٢ : ٨٣ (٢) ابن هشام : البيرة ٥٥٦

(٣) ابن دريد : الكتاب المذكور ١٧ . اما الغاية الحقيقية من هذه الدار فلا نعرفها تماماً

راجع *La Mecque* 62, 74, 101

(٤) كان ناديم على فناء الكعبة . قابل بما في القصيدتين ١٧٣ و ١٧٤ من ديوان حسان ان كاتا صحيحتي النسبة . ولا يخفى اثر الدولة العبّاسية في تكييف قصائد الشاعر المدني على رغباتها .

(٥) وفي بعض النصوص يُمرّم على المصلي ان يتجه نحو الحجر في صلاته . راجع جغرافية

من الكعبة ، وعن حقيقة القرار المتخذ بشأن « مقام ابراهيم »<sup>١</sup> ولماذا ترك الحجر في مكانه قرب هذا المبد خلافاً لما قرّر بشأن سائر الحجارة او « الاركان » التي أدخلت في الكعبة . وقد كان من نتائج هذا الادخال ان الاركان المذكورة جُمِدت في مراكزها فلم يمد من المستطاع نقلها في انشاء الصُرة ، اشهر الطوافات السنوية في مكة<sup>٢</sup> . وهذا فقدت تلك المظاهرات كثيراً من اهميتها القديمة ، وقد تقدم لنا ان النبي شهد احد هذه الطوافات في حدائمه ، فألمه ما تمحّض فيه من مظاهر الصخب المهيج والشرك الصارخ . والى هذا قد تشير الآية التي تعضي على الثاقبين بتلك المظاهر الفاسدة بالعذاب الابدي فتقول : « ذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون »<sup>٣</sup> . ويقول الحديث ان جميع طوافات الصُرة التي قام بها النبي كانت في غير رجب<sup>٤</sup> ، وهو الشهر الذي كان يتبع فيه عيد مكة في الجاهلية . وفي هذا دليل جديد على محاولات النبي في محو المظاهر الوثنية في عبادة المكّيين .

#### ٤

قبل ان تلابث معالم « البيوت » الثقاله ، اخذت تتلاشى صفات الاشخاص الجامعين بين خصائص الكهانة والسيادة ، الحاملين بفضل هذا الازدواج في المهنة لقب « الرب » الفخم<sup>٥</sup> . وقد عرضنا مرّة ، الى هذا التعبير في درسنا الاقلاب التي كان يحملها ارباب السلطة في الصحراء<sup>٦</sup> . فيلزمنا الآن ان ندقق ، قدر

(١) راجع المندي ، ٧٢-٧٣ ؛ Snouck Hurgronje, *Mekka*, I, 11 .

(٢) بصرف النظر عن سائر « المراكب » الدينية ، وكانت في كثيرها كثيراً ما تستدعي حكم البدو الثاقبين ابداً . اطلب الاغانى ١ : ٢٠ .

(٣) القرآن ٨ [ الأفعال ] ٣٥ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ٢ : ١٢٣ .

(٥) الاغانى ٨ : ٦٨ ، ٧٠ ، ١٠ : ١٥ ؛ ابن قتيبة : المعارف ( الطبعة المصرية ) ١٦٨ ؛ الجاحظ : الحيوان ١ : ١٦٠ ( وفيه امثلة عديدة ) . ويُدعى المتحدرون من سلالة الكاهن شق « ارباب بجيلة » . الاغانى ١٩ : ٥٢ .

(٦) اطلب ... Berceau, I, 203 . في تفسير الطبري ١ : ٤٦ « الرب » يبادل « السيد

المستطاع ، في قيمة هذا اللقب الذي يظهر نافراً في تلك البيئة ، لما نعرفه من تقيد البدو بمظاهر المساواة الديموقراطية . وإذا فلا شك في ان الاهتمام الديني وحده كان بإمكانه ان يفرض على البدو الديموقراطيين قبول هذا الامتياز الاجتماعي . وهذا نولدكه يميل الى الشك بصحة القول ان الجاهليين كانوا ينادون احد كهنتهم العظام « ياربنا ا »<sup>١١</sup> ومهما يكن من اسباب شكه ، فان حكمه بان القول المذكور « صورة إسلامية تمثل جهل المشركين الأعمى »<sup>١٢</sup> زاه على شيء من البساطة . فان فيه أمالاً للاستفادة من بعض « بقايا الجاهلية » على لغة ولموسن . من الحق ان كثيراً من المرويات عن ذلك العصر ، التي تضخم مجموعات الاغاني<sup>١٣</sup> ، يكتنفها الشك . وقد يكون منها هذا الخبر . ولكن من الحق كذلك ان الرواة والقصاصين ، في انشائهم لها ، استفادوا من بقايا وذكريات شعرية وتاريخية لا يمكننا الاستفادة منها اليوم . ولهذا لا نرى من الحكمة ان نطرح جانباً كل ما جانا من المرويات القديمة ، قبل ان ندرسها ونحللها واحدة واحدة علنا نستفيد تقدماً في درس الضير الديني في مجتمع ابنا اسماعيل .

ذكرنا في كتابنا « مهد الإسلام »<sup>١٤</sup> ، في الكلام عن اعمال « الكهنة القديمة » ، انه كثيراً ، ما كان يعرض لهؤلاء القائمين بخدمة الآلهة ، في انشاء استعمالهم وظيفتهم ، ان تتفضل في شخصيتهم أهمية دورهم ، فيخالوا انفسهم مكان تلك الآلهة المخدومة واذا بهم يستعملون طريقة الانشاء الخاصة بها . « من هذا القبيل ذلك الخبر المروي عن كاهن بني أسد ، عوف بن ربيعة ، الذي اجاب دعاء قومه : « ياربنا ا » بقوله : « يا عبادي . »<sup>١٥</sup> هذا الخبر الذي يوقع

١١ قابل بالقول عن احد الفرشيين من مخزوم : « ربكم » ؛ ابن دريد : الكتاب المذكور ، ٦٣

١٢ في *Der Islam*, V, 211 في نقده كتابنا *Berceau de l'Islam*

١٣ وهي في أكثرها تشمل على شرح المقطوعات الشعرية فتستخدم معلومات تاريخية وجغرافية قد تكون موضوعة بعد الوقوف على المقطوعة الشعرية التي شرحها . ولا ينبغي ان كل شارح يتردد فيها ويبدل على ما يوافق هواه وترعته .

١٥ الاغاني ٨ : ٦٦

*Berceau*, I, 204 ١٦

نولدكه في الاستغراب ، لا زاه بعيداً ان يكون مستتبجاً من بيت لحسان بن ثابت . في ديوان حسان ، قصيدة يرثي بها الشاعر المدني سيداً من قريش اسمه مطعم بن عدي . فيسببه « سيد الناس » « ورب المشركين » وبعد اعطائه هذا اللقب الفخم ، هل يتدذد الشاعر الانصاري في القول ان المكئين اصبحوا « عباد » مطعم ما قاموا بشعائر حجهم ا

كل هذه الملاحظات تدفنا الى اعادة ما قلناه<sup>(١)</sup> من ان لقب « الرب » مختصر من « رب البيت » ، او « رب القبة » ، وهو لقب عالٍ يضع صاحبه فوق سائر « السادة » فيرفعه الى مقام اكليديكي او ديني ، اذا صح التعبير . على ان اللقب المختصر اي « الرب » ، لم يمنع استعمال التعبير الكامل : « رب القبة »<sup>(٢)</sup> ، او « رب القبة الحمراء »<sup>(٣)</sup> . وقد مر امام عيني القارئ كثير من هذه الأمثلة<sup>(٤)</sup> . نرى هؤلاء الاشخاص ، المرتفعين عن جمهرة زملائهم في القيادة ، يخلفون « الكهنة » الذين اشارت اليهم الرُّممة النبطية<sup>(٥)</sup> ، والذين كانوا

Berveau, I, 204 (1)

(٢) او « أهل التباب » كما ذكرنا . وقد يُطبَّق هذا اللقب على الامير اللخمي ، ملك الحيرة ، كما ترى في قصائد النابتة الديلمي وحسان بن ثابت ، حتى بعد اعتداهم للخبيثين الى النصرانية . فهل يكون المعنى الاولي للتعبير دخل منذ ذاك ، في حيز النيبان ؟ (٣) او « رب المشركين » كما في قول حسان .

(٤) وهذا مثل اتشوي . فقد ذكر في سنن ابي داود ١ : ١٥٥ ؛ والاغاني ٢١ : ٦٠ ؛ ولسان الغابة ٥ : ١٧ : « ربة بيت في الجاهلية » . ولا يظن القارئ ان المقصود بهذا التعبير « سيدة بيت » او « مدبرة اسرة » فان هذه الصفة لا مبرر للاشارة اليها في المجتمع الجاهلي . ان المقصود كاهنة متعلقة بخدمة بيت او حجر مؤنث .

Jausen - Savignac, Mission archéologique en Arabie, I, 213, 217, n° 57, (٥)

ويستغرب المؤلفان العالمان عدم وجود أثر لآتي بناء ديني في جوار هذه الرُّممة 58, 59. وهو استغراب لا مبرر له ، اذا اتينا لما استخلصناه من نتائج عن صفة « البيت » العربي الذي لا يفرض وجود الميكل او المسجد يعني البناء المخصص . قابل ملاحظتنا (ص ٢١٥) بقول ليمان E. Littmann, Zu den arab. Inschriften von Petra, dans Zeitschr. für Assyr. 1914, 17, 268-269 اما اصل هذا الاتباس والوهم ، فاقبال العلماء من فرنسيين وألمان ، على ترجمة « بيت » ببنى المتزل المصري Mason او Haus

يقومون بحفظ المظلة المقدسة او البيت او قبة القبيلة.<sup>(١)</sup> وفي الجزء الاول من همد الإسلام ذكرنا اسماء عدد منهم ينتسبون الى اشهر الأسر العربية<sup>(٢)</sup>. ونضيف اليهم الآن هشام بن المُفيرة المخزومي المشهور بكرمه حتى قيل « كان سيداً مطعماً » وعندما توفي اخذ المنادي يمتدق شوارع مكة صائحاً : « اشهدوا جنازة ربكم ».<sup>(٣)</sup>

ولا يخفى ان تراجم هؤلاء الاشخاص الذين تقاسمت حياتهم الاسطورة ، فبلت بعضهم الى اعمار كثيراً ما تجاوزت المائة بل المئات<sup>(٤)</sup> فعُدوا بين المعمرين ، فعدنا الكثير من التذكارات والتلميحات الراقية الى آثار المؤنسات في الجاهلية الاولى .

بيد انه يجب ان لا نخلط بينهم وبين امراء الفاسنة وملوك الحيرة . كما قد يتوعد اليه لقب « الرب » المشترك ، « كرب الشام » الدال على الأمير الفسّاني . و « رب الحورنق »<sup>(٥)</sup> المشير الى ملك الحيرة . كذلك يجب ان نفضل بينهم وبين بعض امراء الهادية من الذين كان من حظهم ان تستوا ، لمدة قصيرة ، « بر رب الحجاز » ، « رب تميم »<sup>(٦)</sup> . وكلها القاب ضخمة نقلها شعراء البلاط ، في ما بعد ، الى الخلفاء<sup>(٧)</sup> . ولم يرضَ عنها التقليد السني فانشار الى ان النبي حرّمها

(١) كان زهير بن جناب المشهور بنام « في قبة له من آدم » ، الاغاني ٩ : ١٧٦ ؛ ٣١ :

Bercean, I, 320 ؛ ٦٠.

(٢) Bercean, I, 204-205 ؛ الاغاني ٣١ : ٦٠.

(٣) ابن دريد : الكتاب المذكور ، ٦٣.

(٤) من مثل زهير ، وشق ، وطيح . . . ، اطلب ابن دريد : الاشتقاق ٢٦٢ ، ٢٠٢ .  
والمجلد الذي خصه الجسّاني « بالمعمرين » ونشره Goldziher

(٥) الاغاني ١٤ : ٧ ، ١٥ ؛ ابن قتيبة : الشر والشعراء ، ١١٣ ، ٢٢٩

(٦) ابن دريد : الاشتقاق ، ٢٢٠ ؛ الاخطل الديوان ( طبعة صالحاني ) ٣٠٥ . وهناك تمييز « رب العزى » ييل ولموسن الى نسب الى الله ( Reste, 35, 220 ) أو لا يكون من الاصح ان نتم التمييز فنقول : « رب بيت العزى » ؟

(٧) كرب سمد وما شاكل . . . الاغاني ١٨ : ١٥١ ؛ الجاحظ : الحيوان ١ : ١٦٠.

بالنسبة الى البشر،<sup>١١</sup> ذاكراً ان القرآن يحصل منها لقباً الهياً،<sup>١٢</sup> شاجباً عمل « اهل الكتاب » في تلقيب افراد اكليروسهم « بالارباب » و« الربانة »<sup>١٣</sup>. ولا يخفى ان الإسلام يخلو من نظام اكليريكي . واذا اضفنا الى هذا تذكارات الشرك الجاهلية العالقة بهذا اللقب ، فهنا موقف الحديث والتقليد من لقب « الرب » موقف الحذر والإعراض . وسدى كيف ان الشروح اللغوية تفيدنا عن قيمة هذه التذكارات القديمة في مركز « رب القبة » او « رب البيت » في البيئة الجاهلية .



في اقوال النسابة ، اذا ما ترجعوا للأسر الشيرة والشخصيات الرفيعة المعروفة في تاريخ البادية ، كثيراً ما نرى قولهم : « هم البيت » او « هو بيت قومه »<sup>١٤</sup> واحياناً تأتي هذه الجملة على صورة اخرى قد تكون اقرب الى الاصل وهي قولهم : « فيهم البيت » او « اليهم البيت »<sup>١٥</sup> فما هو هذا « البيت » أساس الشرف والعلية في المجتمع العربي الارستوقراطي ؟ ولنا اول من يلقي هذا

(١) البخاري : الصحيح ٢ : ١٢٥ ؛ مسام : الصحيح ٢ : ١٢٧ وفيه « رب الناس » عن احد السادة العاديين . شراء النصرانية ٤٧٦ ، ومجب ، فيما ارى ، ان قرأ « رب » بالرفع ، بدل « رب » بالنصب . وقابل بالقول « سيد » الناس في بيت حسان عن احد القرشيين . على ان هذا اللقب يصح الهياً في كلام سخر اخي الحناء ، الاغانى ١٣ : ١٤٥ ، ان لم يكن هناك تحريف متأخر العهد .

(٢) اطلب فهارس القرآن في مادة « رب » . وينقل ابن هشام ( السيرة ٢٥١ ) بيتاً لحسان بن ثابت ( الديوان ١٣٨ : ٢ ) فيستبدل بكلمة « رب » كلمة لا تأثير لها .

(٣) القرآن ٣ [ آل عمران ] ٥٧ ؛ ٩ [ التوبة ] ١- ؛ ولا سيما بعد كفاح النبي ضد جود المدينة ، راجع بمشا *Les Juifs à la Mecque à la veille de l'hégire*

(٤) ابن دريد : الكتاب المذكور ، ١٠٧ ، ١٢٠ ، ١٤٤ ، ١٨٠ ، ١٨٨ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٩ ؛ لسان العرب ٢ : ٢١٦

(٥) ابن دريد : ك . م . ١٠٧ ، ١٢٠ ، ١٤٤ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ٢٢٦ ، ٢٨٢ ، ٢٨٩ ، ٣٠٥ ؛ *Motivis* ، ٥٥ ؛ تناقض جرير والفرزدق ، ٥٨٧ ؛ الاغانى ٣ : ٣٠ ، ١٢٦ ؛ الطبري : تاريخه ١ : ١٠٢٨ وفيه : « البيت يوسن من وية في آل ذي الجدين . » قابل بما في البكري : المعجم ٢١ ، ٢٠ ولا سيما القول : « فلان . . . هو بيت . . . ( كذا ) » ؛ ابن دريد : ك . م . ١٠٧ ، ١٢٠ ؛ لسان العرب ٢ : ٢١٦

السؤال . ذلك ان مهرة النسابة وحناق اللغويين اهتموا قبلنا مجل هذا المشكل  
اذ اعترضتهم صفات مثل هذه عن بعض الأسر : هم بيت سليم ، او بيت  
عطفان ، او بيت هوازن ، او بيت ضبة ، او بيت قيس . . . .<sup>١</sup> فاخذهم الهم  
بشرحها وتأويلها . وهو هم علمي يشكر عليه اولئك الاساتذة القدماء ، لولا  
ما كان من تسرعهم في الاجوبة واندفاعهم الى تعديد المترادفات للتعبير  
المذكور ،<sup>٢</sup> دون ان ينتهوا المطالع لما كان في الاصل ولما زادوه من عندياتهم .  
ولا تخفى هذه الإصلاحات المتأخرة ، ولا هذه المترادفات المُنْتَحَبة ، على ذوي  
البصيرة من ارباب النقد اذا ما قابلوا بين الاصول القديمة في آثار الشعراء او  
المؤرخين الأول ، وما وآده تسرع الشراح والرواة ، وتكثُر موثني كتب التراجم  
وجمَاع المعاجم التاريخية .<sup>٣</sup> حتى ان البيت اصبح ، في نظر متأخري المؤتلفين<sup>٤</sup> ،  
لا يختلف عن الأسرة او القبيلة التي تولف البيت الاشهر اي المنزل الشريف<sup>٥</sup> .  
ولذا اخذوا يسرعون فيستبدلون بالبيت مترادفات عديدة « كالرياسة والحكومة »  
او « العدد والشرف » او « الشرف والرياسة »<sup>٦</sup> او « الفرسان والعدد » .<sup>٧</sup> بل  
ابنا رأينا في بعض التراجم جملة يقصد منها مدح الخليفة العباسي بدغدغة كبريائه ،  
فيقولون عن أسرته ما « هي قريش القبيلة الفلانية » .<sup>٨</sup> اما شعراء الامويين الذين

(١) ابن قتيبة : المعارف ٢٨ ، ٢٥ ، ابن دريد : ك . م . ١٥٦ ، ١٢٤

(٢) من مثل قولهم في *Chroniken*, II, 142 : « تحول البيت بين الشرف والرياسة . . . »  
ويلاحظ المؤتلف ان الشرح بعد لفظة « بيني » من قلم شارح متأخر ، وذلك يخالف معنى الترجمة  
السابقة الهد . وهذا قوله : « وذلك يخالف المعنى المقصود بهذه الترجمة وأنه اعلم بالصواب »  
(٣) من مثل العقد وأسد الغابة وما شابهها (٤) قابل بما في *Chroniken*, II, 139-142  
(٥) وقد رأينا بدل « البيت » كلمة « حُجْرَة » في تناقض جبرير والفردق ١٢٠ :  
« والمُحْجَرَة يوشذ ليني عاصم . والحال ان « الحُجْرَة » تعادل « القبة » . راجع شيخو :  
شعراء النصرانية ٦٨٠

(٦) البكري : المعجم ٢٩ ، ٣٠ ؛ اليعقوبي : تاريخه ١ : ٢٥٦-٢٥٧ ، ٢٦٠-٢٦١ ؛  
وكان يتجنب كلمة « البيت » ؛ ابن قتيبة : المعارف ٢٧ ، ٢١ ، ٢٢ . على انه في ٢٨  
يذكر « البيت والشرف » وفي ٢٢ : « العدد والبيت » . قابل بما في العقد ٣ : ٤٤ : « بيت  
فزارة ومركزه بنو بدر » وفي ٥٢ : « فيهم كان بيت ريمة . » : *Chroniken*, loc. cit.

(٨) ابن قتيبة : المعارف ٢٢ ،

*Chroniken*, II, 142

ظلاً على اتصال بالعقيدة البدوية القديمة ، فكانت ثقافتهم جاهلية محضة ، فاننا نرى في شعرهم الجمع بين النكرتين . وهذا جميل يدعى لقبيلته « بالبيت والمدد »<sup>(١)</sup> . وهذا الأقيشر يقول :

ويبو دودان حياً سادة حلّ بيت المجد فيهم والمدد<sup>(٢)</sup>

وقد يكون هذا الجمع في قول الأقيشر طبيعياً متأثراً بتطور الأفكار ، او مقصوداً لغاية ما ، وهي الأرجح في نظرنا .

ولا تطول المدة حتى يتناسى المؤرخون وجماع التراجم كلمة « البيت » فيستبدون عنها باحدى المفردات التي عدناها . وهو نصيب الكثير من الكلمات الجاهلية التي حوتها مرزخور العصور التالية عن معناها الاصيل ، وفقاً لتزعائم الدينية<sup>(٣)</sup> والسياسية التي عجلت في سير هذا التطور اللغوي . وكان القرآن قد بدأ عهد احتقار الامجاد القديمة : « ظنّ الجاهلية » ، و « حمية الجاهلية » ، وكل ما ينتج من « حكم الجاهلية » ،<sup>(٤)</sup> ذلك العهد البائد المتصف بالجهل والهنجية ، الجدير بان يفلقه النسيان والاهمال . فكان ضرورياً من ثم ان تُجنب هذه الذكريات المشهورة ، فلا تُذكر « بيوت » الشرك ، ولا ينسب السادة الى جدودهم من كبار الكهّان ،<sup>(٥)</sup> في تلك البيئة الجديدة التي كان ساداتها يتنافسون بالقب العقبى ، والبدرى ، والأحدي ، والشجري ،<sup>(٦)</sup> والاتصاري ، والتي

(١) الاغانى ٧ : ٩٩

(٢) الاغانى ١٠ : ٨٥ . وراجع ، بشأن بني دودان ، ابن دريد : ك . م . ١١٠ .

اسد الغابة ٣ : ١٢٨

(٣) من ذلك ان كلمة « البيت » كانت تُذكر بالشرك الجاهلي ، او بالكعبة فيها . وفي كلا الأمرين لا توافق الترمعات الجديدة .

(٤) القرآن ٣ [ آل عمران ] ١٤٨ ، ٥ [ المائدة ] ٥٥ ، ٣٣ [ الاحزاب ] ٢٢ ، ٤٨

[ الفتح ] ٢٦ ؛ ابن هشام : السيرة ٨٢١

(٥) هناك ذكر لكاهن صحابي ( ابن دريد ٢٧٩ ) على ان اسد الغابة يقول : قد يكون

اسه « ابن الكاهن » !

(٦) نسبة الى الاشتراك بمبارك العقبى ، وبدر ، وأحد ، وبصلح شجرة الحديدية . وقد

اتهم جم الامر ال ان عيّنوا ثلاث مبارك في العقبى ؛ اسد الغابة ٢ : ١٥٨

كان الانتساب فيها الى ابي بكر وعمر والمبشرة<sup>(١)</sup> يفوق بما لا يقاس ذلك الانتساب القديم الى اشهر السادة واعظم الازياب في الجاهلية<sup>(٢)</sup>.

هذه العقلية الآخذة بالآراء الماكرة للجاهلية وما اليها عملت العمل الناجع في نشر التغاسير والشروح الموافقة للحالة الجديدة . فكان من ذلك ان التطور اللغوي لم يسر السير الطبيعي ، فانتقل سريعاً معنى « البيت » من الحجر المزلّه الى الاسرة الارستوقراطية في البادية<sup>(٣)</sup> ، واذا لدينا الفصول الممتعة في اسر العرب القديمة او ، كما في لغة ارباب المجاميع ، « بيوتات فاختة متقدمة »<sup>(٤)</sup> وكانت هذه التماييز ، في اصلها ، تشير الى ان القبايل المذكورة او الأسر كان من حقها وحدها المحافظة على « البيت » او خدمة « البيت » اي الحجر الموروث في القبيلة وهو معنى القول : « فيهم كان بيت عذرة بن سعد »<sup>(٥)</sup> . وقد رأينا ، في ما تقدم تلك الموافقة بين « الرب » و « القبة » وما كان من صلة بين اللفظتين حتى انه كان لكل « رب » « قبة »<sup>(٦)</sup> . وها اننا نتحقق صلة مماثلة بين « رب » و « بيت » . وهكذا فان الأسر التي « فيها » او « اليها » البيت هي الأسر نفسها التي كان منها في الجاهلية ، « ارباب » ذور قباب<sup>(٧)</sup> ومن السذاجة بمكان ان ننسب هذه الصلات المترافقة الى الصدفة .

- (١) م الشرة من الصحابة الذين « بشرم » النبي بالجنة ، اي ضمنها لهم .  
 (٢) لام احدهم خالد القسري على انتسابه الى احد الكهّان فصاح به : « تعبر في بشرني » ، الطبري : تاريخه ٢ : ١٨١٣ .  
 (٣) اطلب ملاحظة الناسي في *Croniken*, II, 142 بشأن اللبس في استعمال البيت = الحجر المزلّه ، والبيت = الشرف والنبل .  
 (٤) راجع القند ٣ : ٤٤ ؛ الاغاني ١٦ : ٣ ، ١٧ : ١٠٥-١٠٦ : ١٠٦ : ١٠٧ : ١٠٨ : ١٠٩ : ١١٠ : ١١١ : ١١٢ : ١١٣ : ١١٤ : ١١٥ : ١١٦ : ١١٧ : ١١٨ : ١١٩ : ١٢٠ : ١٢١ : ١٢٢ : ١٢٣ : ١٢٤ : ١٢٥ : ١٢٦ : ١٢٧ : ١٢٨ : ١٢٩ : ١٣٠ : ١٣١ : ١٣٢ : ١٣٣ : ١٣٤ : ١٣٥ : ١٣٦ : ١٣٧ : ١٣٨ : ١٣٩ : ١٤٠ : ١٤١ : ١٤٢ : ١٤٣ : ١٤٤ : ١٤٥ : ١٤٦ : ١٤٧ : ١٤٨ : ١٤٩ : ١٥٠ : ١٥١ : ١٥٢ : ١٥٣ : ١٥٤ : ١٥٥ : ١٥٦ : ١٥٧ : ١٥٨ : ١٥٩ : ١٦٠ : ١٦١ : ١٦٢ : ١٦٣ : ١٦٤ : ١٦٥ : ١٦٦ : ١٦٧ : ١٦٨ : ١٦٩ : ١٧٠ : ١٧١ : ١٧٢ : ١٧٣ : ١٧٤ : ١٧٥ : ١٧٦ : ١٧٧ : ١٧٨ : ١٧٩ : ١٨٠ : ١٨١ : ١٨٢ : ١٨٣ : ١٨٤ : ١٨٥ : ١٨٦ : ١٨٧ : ١٨٨ : ١٨٩ : ١٩٠ : ١٩١ : ١٩٢ : ١٩٣ : ١٩٤ : ١٩٥ : ١٩٦ : ١٩٧ : ١٩٨ : ١٩٩ : ٢٠٠ : ٢٠١ : ٢٠٢ : ٢٠٣ : ٢٠٤ : ٢٠٥ : ٢٠٦ : ٢٠٧ : ٢٠٨ : ٢٠٩ : ٢١٠ : ٢١١ : ٢١٢ : ٢١٣ : ٢١٤ : ٢١٥ : ٢١٦ : ٢١٧ : ٢١٨ : ٢١٩ : ٢٢٠ : ٢٢١ : ٢٢٢ : ٢٢٣ : ٢٢٤ : ٢٢٥ : ٢٢٦ : ٢٢٧ : ٢٢٨ : ٢٢٩ : ٢٣٠ : ٢٣١ : ٢٣٢ : ٢٣٣ : ٢٣٤ : ٢٣٥ : ٢٣٦ : ٢٣٧ : ٢٣٨ : ٢٣٩ : ٢٤٠ : ٢٤١ : ٢٤٢ : ٢٤٣ : ٢٤٤ : ٢٤٥ : ٢٤٦ : ٢٤٧ : ٢٤٨ : ٢٤٩ : ٢٥٠ : ٢٥١ : ٢٥٢ : ٢٥٣ : ٢٥٤ : ٢٥٥ : ٢٥٦ : ٢٥٧ : ٢٥٨ : ٢٥٩ : ٢٦٠ : ٢٦١ : ٢٦٢ : ٢٦٣ : ٢٦٤ : ٢٦٥ : ٢٦٦ : ٢٦٧ : ٢٦٨ : ٢٦٩ : ٢٧٠ : ٢٧١ : ٢٧٢ : ٢٧٣ : ٢٧٤ : ٢٧٥ : ٢٧٦ : ٢٧٧ : ٢٧٨ : ٢٧٩ : ٢٨٠ : ٢٨١ : ٢٨٢ : ٢٨٣ : ٢٨٤ : ٢٨٥ : ٢٨٦ : ٢٨٧ : ٢٨٨ : ٢٨٩ : ٢٩٠ : ٢٩١ : ٢٩٢ : ٢٩٣ : ٢٩٤ : ٢٩٥ : ٢٩٦ : ٢٩٧ : ٢٩٨ : ٢٩٩ : ٣٠٠ : ٣٠١ : ٣٠٢ : ٣٠٣ : ٣٠٤ : ٣٠٥ : ٣٠٦ : ٣٠٧ : ٣٠٨ : ٣٠٩ : ٣١٠ : ٣١١ : ٣١٢ : ٣١٣ : ٣١٤ : ٣١٥ : ٣١٦ : ٣١٧ : ٣١٨ : ٣١٩ : ٣٢٠ : ٣٢١ : ٣٢٢ : ٣٢٣ : ٣٢٤ : ٣٢٥ : ٣٢٦ : ٣٢٧ : ٣٢٨ : ٣٢٩ : ٣٣٠ : ٣٣١ : ٣٣٢ : ٣٣٣ : ٣٣٤ : ٣٣٥ : ٣٣٦ : ٣٣٧ : ٣٣٨ : ٣٣٩ : ٣٤٠ : ٣٤١ : ٣٤٢ : ٣٤٣ : ٣٤٤ : ٣٤٥ : ٣٤٦ : ٣٤٧ : ٣٤٨ : ٣٤٩ : ٣٥٠ : ٣٥١ : ٣٥٢ : ٣٥٣ : ٣٥٤ : ٣٥٥ : ٣٥٦ : ٣٥٧ : ٣٥٨ : ٣٥٩ : ٣٦٠ : ٣٦١ : ٣٦٢ : ٣٦٣ : ٣٦٤ : ٣٦٥ : ٣٦٦ : ٣٦٧ : ٣٦٨ : ٣٦٩ : ٣٧٠ : ٣٧١ : ٣٧٢ : ٣٧٣ : ٣٧٤ : ٣٧٥ : ٣٧٦ : ٣٧٧ : ٣٧٨ : ٣٧٩ : ٣٨٠ : ٣٨١ : ٣٨٢ : ٣٨٣ : ٣٨٤ : ٣٨٥ : ٣٨٦ : ٣٨٧ : ٣٨٨ : ٣٨٩ : ٣٩٠ : ٣٩١ : ٣٩٢ : ٣٩٣ : ٣٩٤ : ٣٩٥ : ٣٩٦ : ٣٩٧ : ٣٩٨ : ٣٩٩ : ٤٠٠ : ٤٠١ : ٤٠٢ : ٤٠٣ : ٤٠٤ : ٤٠٥ : ٤٠٦ : ٤٠٧ : ٤٠٨ : ٤٠٩ : ٤١٠ : ٤١١ : ٤١٢ : ٤١٣ : ٤١٤ : ٤١٥ : ٤١٦ : ٤١٧ : ٤١٨ : ٤١٩ : ٤٢٠ : ٤٢١ : ٤٢٢ : ٤٢٣ : ٤٢٤ : ٤٢٥ : ٤٢٦ : ٤٢٧ : ٤٢٨ : ٤٢٩ : ٤٣٠ : ٤٣١ : ٤٣٢ : ٤٣٣ : ٤٣٤ : ٤٣٥ : ٤٣٦ : ٤٣٧ : ٤٣٨ : ٤٣٩ : ٤٤٠ : ٤٤١ : ٤٤٢ : ٤٤٣ : ٤٤٤ : ٤٤٥ : ٤٤٦ : ٤٤٧ : ٤٤٨ : ٤٤٩ : ٤٥٠ : ٤٥١ : ٤٥٢ : ٤٥٣ : ٤٥٤ : ٤٥٥ : ٤٥٦ : ٤٥٧ : ٤٥٨ : ٤٥٩ : ٤٦٠ : ٤٦١ : ٤٦٢ : ٤٦٣ : ٤٦٤ : ٤٦٥ : ٤٦٦ : ٤٦٧ : ٤٦٨ : ٤٦٩ : ٤٧٠ : ٤٧١ : ٤٧٢ : ٤٧٣ : ٤٧٤ : ٤٧٥ : ٤٧٦ : ٤٧٧ : ٤٧٨ : ٤٧٩ : ٤٨٠ : ٤٨١ : ٤٨٢ : ٤٨٣ : ٤٨٤ : ٤٨٥ : ٤٨٦ : ٤٨٧ : ٤٨٨ : ٤٨٩ : ٤٩٠ : ٤٩١ : ٤٩٢ : ٤٩٣ : ٤٩٤ : ٤٩٥ : ٤٩٦ : ٤٩٧ : ٤٩٨ : ٤٩٩ : ٥٠٠ : ٥٠١ : ٥٠٢ : ٥٠٣ : ٥٠٤ : ٥٠٥ : ٥٠٦ : ٥٠٧ : ٥٠٨ : ٥٠٩ : ٥١٠ : ٥١١ : ٥١٢ : ٥١٣ : ٥١٤ : ٥١٥ : ٥١٦ : ٥١٧ : ٥١٨ : ٥١٩ : ٥٢٠ : ٥٢١ : ٥٢٢ : ٥٢٣ : ٥٢٤ : ٥٢٥ : ٥٢٦ : ٥٢٧ : ٥٢٨ : ٥٢٩ : ٥٣٠ : ٥٣١ : ٥٣٢ : ٥٣٣ : ٥٣٤ : ٥٣٥ : ٥٣٦ : ٥٣٧ : ٥٣٨ : ٥٣٩ : ٥٤٠ : ٥٤١ : ٥٤٢ : ٥٤٣ : ٥٤٤ : ٥٤٥ : ٥٤٦ : ٥٤٧ : ٥٤٨ : ٥٤٩ : ٥٥٠ : ٥٥١ : ٥٥٢ : ٥٥٣ : ٥٥٤ : ٥٥٥ : ٥٥٦ : ٥٥٧ : ٥٥٨ : ٥٥٩ : ٥٦٠ : ٥٦١ : ٥٦٢ : ٥٦٣ : ٥٦٤ : ٥٦٥ : ٥٦٦ : ٥٦٧ : ٥٦٨ : ٥٦٩ : ٥٧٠ : ٥٧١ : ٥٧٢ : ٥٧٣ : ٥٧٤ : ٥٧٥ : ٥٧٦ : ٥٧٧ : ٥٧٨ : ٥٧٩ : ٥٨٠ : ٥٨١ : ٥٨٢ : ٥٨٣ : ٥٨٤ : ٥٨٥ : ٥٨٦ : ٥٨٧ : ٥٨٨ : ٥٨٩ : ٥٩٠ : ٥٩١ : ٥٩٢ : ٥٩٣ : ٥٩٤ : ٥٩٥ : ٥٩٦ : ٥٩٧ : ٥٩٨ : ٥٩٩ : ٦٠٠ : ٦٠١ : ٦٠٢ : ٦٠٣ : ٦٠٤ : ٦٠٥ : ٦٠٦ : ٦٠٧ : ٦٠٨ : ٦٠٩ : ٦١٠ : ٦١١ : ٦١٢ : ٦١٣ : ٦١٤ : ٦١٥ : ٦١٦ : ٦١٧ : ٦١٨ : ٦١٩ : ٦٢٠ : ٦٢١ : ٦٢٢ : ٦٢٣ : ٦٢٤ : ٦٢٥ : ٦٢٦ : ٦٢٧ : ٦٢٨ : ٦٢٩ : ٦٣٠ : ٦٣١ : ٦٣٢ : ٦٣٣ : ٦٣٤ : ٦٣٥ : ٦٣٦ : ٦٣٧ : ٦٣٨ : ٦٣٩ : ٦٤٠ : ٦٤١ : ٦٤٢ : ٦٤٣ : ٦٤٤ : ٦٤٥ : ٦٤٦ : ٦٤٧ : ٦٤٨ : ٦٤٩ : ٦٥٠ : ٦٥١ : ٦٥٢ : ٦٥٣ : ٦٥٤ : ٦٥٥ : ٦٥٦ : ٦٥٧ : ٦٥٨ : ٦٥٩ : ٦٦٠ : ٦٦١ : ٦٦٢ : ٦٦٣ : ٦٦٤ : ٦٦٥ : ٦٦٦ : ٦٦٧ : ٦٦٨ : ٦٦٩ : ٦٧٠ : ٦٧١ : ٦٧٢ : ٦٧٣ : ٦٧٤ : ٦٧٥ : ٦٧٦ : ٦٧٧ : ٦٧٨ : ٦٧٩ : ٦٨٠ : ٦٨١ : ٦٨٢ : ٦٨٣ : ٦٨٤ : ٦٨٥ : ٦٨٦ : ٦٨٧ : ٦٨٨ : ٦٨٩ : ٦٩٠ : ٦٩١ : ٦٩٢ : ٦٩٣ : ٦٩٤ : ٦٩٥ : ٦٩٦ : ٦٩٧ : ٦٩٨ : ٦٩٩ : ٧٠٠ : ٧٠١ : ٧٠٢ : ٧٠٣ : ٧٠٤ : ٧٠٥ : ٧٠٦ : ٧٠٧ : ٧٠٨ : ٧٠٩ : ٧١٠ : ٧١١ : ٧١٢ : ٧١٣ : ٧١٤ : ٧١٥ : ٧١٦ : ٧١٧ : ٧١٨ : ٧١٩ : ٧٢٠ : ٧٢١ : ٧٢٢ : ٧٢٣ : ٧٢٤ : ٧٢٥ : ٧٢٦ : ٧٢٧ : ٧٢٨ : ٧٢٩ : ٧٣٠ : ٧٣١ : ٧٣٢ : ٧٣٣ : ٧٣٤ : ٧٣٥ : ٧٣٦ : ٧٣٧ : ٧٣٨ : ٧٣٩ : ٧٤٠ : ٧٤١ : ٧٤٢ : ٧٤٣ : ٧٤٤ : ٧٤٥ : ٧٤٦ : ٧٤٧ : ٧٤٨ : ٧٤٩ : ٧٥٠ : ٧٥١ : ٧٥٢ : ٧٥٣ : ٧٥٤ : ٧٥٥ : ٧٥٦ : ٧٥٧ : ٧٥٨ : ٧٥٩ : ٧٦٠ : ٧٦١ : ٧٦٢ : ٧٦٣ : ٧٦٤ : ٧٦٥ : ٧٦٦ : ٧٦٧ : ٧٦٨ : ٧٦٩ : ٧٧٠ : ٧٧١ : ٧٧٢ : ٧٧٣ : ٧٧٤ : ٧٧٥ : ٧٧٦ : ٧٧٧ : ٧٧٨ : ٧٧٩ : ٧٨٠ : ٧٨١ : ٧٨٢ : ٧٨٣ : ٧٨٤ : ٧٨٥ : ٧٨٦ : ٧٨٧ : ٧٨٨ : ٧٨٩ : ٧٩٠ : ٧٩١ : ٧٩٢ : ٧٩٣ : ٧٩٤ : ٧٩٥ : ٧٩٦ : ٧٩٧ : ٧٩٨ : ٧٩٩ : ٨٠٠ : ٨٠١ : ٨٠٢ : ٨٠٣ : ٨٠٤ : ٨٠٥ : ٨٠٦ : ٨٠٧ : ٨٠٨ : ٨٠٩ : ٨١٠ : ٨١١ : ٨١٢ : ٨١٣ : ٨١٤ : ٨١٥ : ٨١٦ : ٨١٧ : ٨١٨ : ٨١٩ : ٨٢٠ : ٨٢١ : ٨٢٢ : ٨٢٣ : ٨٢٤ : ٨٢٥ : ٨٢٦ : ٨٢٧ : ٨٢٨ : ٨٢٩ : ٨٣٠ : ٨٣١ : ٨٣٢ : ٨٣٣ : ٨٣٤ : ٨٣٥ : ٨٣٦ : ٨٣٧ : ٨٣٨ : ٨٣٩ : ٨٤٠ : ٨٤١ : ٨٤٢ : ٨٤٣ : ٨٤٤ : ٨٤٥ : ٨٤٦ : ٨٤٧ : ٨٤٨ : ٨٤٩ : ٨٥٠ : ٨٥١ : ٨٥٢ : ٨٥٣ : ٨٥٤ : ٨٥٥ : ٨٥٦ : ٨٥٧ : ٨٥٨ : ٨٥٩ : ٨٦٠ : ٨٦١ : ٨٦٢ : ٨٦٣ : ٨٦٤ : ٨٦٥ : ٨٦٦ : ٨٦٧ : ٨٦٨ : ٨٦٩ : ٨٧٠ : ٨٧١ : ٨٧٢ : ٨٧٣ : ٨٧٤ : ٨٧٥ : ٨٧٦ : ٨٧٧ : ٨٧٨ : ٨٧٩ : ٨٨٠ : ٨٨١ : ٨٨٢ : ٨٨٣ : ٨٨٤ : ٨٨٥ : ٨٨٦ : ٨٨٧ : ٨٨٨ : ٨٨٩ : ٨٩٠ : ٨٩١ : ٨٩٢ : ٨٩٣ : ٨٩٤ : ٨٩٥ : ٨٩٦ : ٨٩٧ : ٨٩٨ : ٨٩٩ : ٩٠٠ : ٩٠١ : ٩٠٢ : ٩٠٣ : ٩٠٤ : ٩٠٥ : ٩٠٦ : ٩٠٧ : ٩٠٨ : ٩٠٩ : ٩١٠ : ٩١١ : ٩١٢ : ٩١٣ : ٩١٤ : ٩١٥ : ٩١٦ : ٩١٧ : ٩١٨ : ٩١٩ : ٩٢٠ : ٩٢١ : ٩٢٢ : ٩٢٣ : ٩٢٤ : ٩٢٥ : ٩٢٦ : ٩٢٧ : ٩٢٨ : ٩٢٩ : ٩٣٠ : ٩٣١ : ٩٣٢ : ٩٣٣ : ٩٣٤ : ٩٣٥ : ٩٣٦ : ٩٣٧ : ٩٣٨ : ٩٣٩ : ٩٤٠ : ٩٤١ : ٩٤٢ : ٩٤٣ : ٩٤٤ : ٩٤٥ : ٩٤٦ : ٩٤٧ : ٩٤٨ : ٩٤٩ : ٩٥٠ : ٩٥١ : ٩٥٢ : ٩٥٣ : ٩٥٤ : ٩٥٥ : ٩٥٦ : ٩٥٧ : ٩٥٨ : ٩٥٩ : ٩٦٠ : ٩٦١ : ٩٦٢ : ٩٦٣ : ٩٦٤ : ٩٦٥ : ٩٦٦ : ٩٦٧ : ٩٦٨ : ٩٦٩ : ٩٧٠ : ٩٧١ : ٩٧٢ : ٩٧٣ : ٩٧٤ : ٩٧٥ : ٩٧٦ : ٩٧٧ : ٩٧٨ : ٩٧٩ : ٩٨٠ : ٩٨١ : ٩٨٢ : ٩٨٣ : ٩٨٤ : ٩٨٥ : ٩٨٦ : ٩٨٧ : ٩٨٨ : ٩٨٩ : ٩٩٠ : ٩٩١ : ٩٩٢ : ٩٩٣ : ٩٩٤ : ٩٩٥ : ٩٩٦ : ٩٩٧ : ٩٩٨ : ٩٩٩ : ١٠٠٠ : ١٠٠١ : ١٠٠٢ : ١٠٠٣ : ١٠٠٤ : ١٠٠٥ : ١٠٠٦ : ١٠٠٧ : ١٠٠٨ : ١٠٠٩ : ١٠١٠ : ١٠١١ : ١٠١٢ : ١٠١٣ : ١٠١٤ : ١٠١٥ : ١٠١٦ : ١٠١٧ : ١٠١٨ : ١٠١٩ : ١٠٢٠ : ١٠٢١ : ١٠٢٢ : ١٠٢٣ : ١٠٢٤ : ١٠٢٥ : ١٠٢٦ : ١٠٢٧ : ١٠٢٨ : ١٠٢٩ : ١٠٣٠ : ١٠٣١ : ١٠٣٢ : ١٠٣٣ : ١٠٣٤ : ١٠٣٥ : ١٠٣٦ : ١٠٣٧ : ١٠٣٨ : ١٠٣٩ : ١٠٤٠ : ١٠٤١ : ١٠٤٢ : ١٠٤٣ : ١٠٤٤ : ١٠٤٥ : ١٠٤٦ : ١٠٤٧ : ١٠٤٨ : ١٠٤٩ : ١٠٥٠ : ١٠٥١ : ١٠٥٢ : ١٠٥٣ : ١٠٥٤ : ١٠٥٥ : ١٠٥٦ : ١٠٥٧ : ١٠٥٨ : ١٠٥٩ : ١٠٦٠ : ١٠٦١ : ١٠٦٢ : ١٠٦٣ : ١٠٦٤ : ١٠٦٥ : ١٠٦٦ : ١٠٦٧ : ١٠٦٨ : ١٠٦٩ : ١٠٧٠ : ١٠٧١ : ١٠٧٢ : ١٠٧٣ : ١٠٧٤ : ١٠٧٥ : ١٠٧٦ : ١٠٧٧ : ١٠٧٨ : ١٠٧٩ : ١٠٨٠ : ١٠٨١ : ١٠٨٢ : ١٠٨٣ : ١٠٨٤ : ١٠٨٥ : ١٠٨٦ : ١٠٨٧ : ١٠٨٨ : ١٠٨٩ : ١٠٩٠ : ١٠٩١ : ١٠٩٢ : ١٠٩٣ : ١٠٩٤ : ١٠٩٥ : ١٠٩٦ : ١٠٩٧ : ١٠٩٨ : ١٠٩٩ : ١١٠٠ : ١١٠١ : ١١٠٢ : ١١٠٣ : ١١٠٤ : ١١٠٥ : ١١٠٦ : ١١٠٧ : ١١٠٨ : ١١٠٩ : ١١١٠ : ١١١١ : ١١١٢ : ١١١٣ : ١١١٤ : ١١١٥ : ١١١٦ : ١١١٧ : ١١١٨ : ١١١٩ : ١١٢٠ : ١١٢١ : ١١٢٢ : ١١٢٣ : ١١٢٤ : ١١٢٥ : ١١٢٦ : ١١٢٧ : ١١٢٨ : ١١٢٩ : ١١٣٠ : ١١٣١ : ١١٣٢ : ١١٣٣ : ١١٣٤ : ١١٣٥ : ١١٣٦ : ١١٣٧ : ١١٣٨ : ١١٣٩ : ١١٤٠ : ١١٤١ : ١١٤٢ : ١١٤٣ : ١١٤٤ : ١١٤٥ : ١١٤٦ : ١١٤٧ : ١١٤٨ : ١١٤٩ : ١١٥٠ : ١١٥١ : ١١٥٢ : ١١٥٣ : ١١٥٤ : ١١٥٥ : ١١٥٦ : ١١٥٧ : ١١٥٨ : ١١٥٩ : ١١٦٠ : ١١٦١ : ١١٦٢ : ١١٦٣ : ١١٦٤ : ١١٦٥ : ١١٦٦ : ١١٦٧ : ١١٦٨ : ١١٦٩ : ١١٧٠ : ١١٧١ : ١١٧٢ : ١١٧٣ : ١١٧٤ : ١١٧٥ : ١١٧٦ : ١١٧٧ : ١١٧٨ : ١١٧٩ : ١١٨٠ : ١١٨١ : ١١٨٢ : ١١٨٣ : ١١٨٤ : ١١٨٥ : ١١٨٦ : ١١٨٧ : ١١٨٨ : ١١٨٩ : ١١٩٠ : ١١٩١ : ١١٩٢ : ١١٩٣ : ١١٩٤ : ١١٩٥ : ١١٩٦ : ١١٩٧ : ١١٩٨ : ١١٩٩ : ١٢٠٠ : ١٢٠١ : ١٢٠٢ : ١٢٠٣ : ١٢٠٤ : ١٢٠٥ : ١٢٠٦ : ١٢٠٧ : ١٢٠٨ : ١٢٠٩ : ١٢١٠ : ١٢١١ : ١٢١٢ : ١٢١٣ : ١٢١٤ : ١٢١٥ : ١٢١٦ : ١٢١٧ : ١٢١٨ : ١٢١٩ : ١٢٢٠ : ١٢٢١ : ١٢٢٢ : ١٢٢٣ : ١٢٢٤ : ١٢٢٥ : ١٢٢٦ : ١٢٢٧ : ١٢٢٨ : ١٢٢٩ : ١٢٣٠ : ١٢٣١ : ١٢٣٢ : ١٢٣٣ : ١٢٣٤ : ١٢٣٥ : ١٢٣٦ : ١٢٣٧ : ١٢٣٨ : ١٢٣٩ : ١٢٤٠ : ١٢٤١ : ١٢٤٢ : ١٢٤٣ : ١٢٤٤ : ١٢٤٥ : ١٢٤٦ : ١٢٤٧ : ١٢٤٨ : ١٢٤٩ : ١٢٥٠ : ١٢٥١ : ١٢٥٢ : ١٢٥٣ : ١٢٥٤ : ١٢٥٥ : ١٢٥٦ : ١٢٥٧ : ١٢٥٨ : ١٢٥٩ : ١٢٦٠ : ١٢٦١ : ١٢٦٢ : ١٢٦٣ : ١٢٦٤ : ١٢٦٥ : ١٢٦٦ : ١٢٦٧ : ١٢٦٨ : ١٢٦٩ : ١٢٧٠ : ١٢٧١ : ١٢٧٢ : ١٢٧٣ : ١٢٧٤ : ١٢٧٥ : ١٢٧٦ : ١٢٧٧ : ١٢٧٨ : ١٢٧٩ : ١٢٨٠ : ١٢٨١ : ١٢٨٢ : ١٢٨٣ : ١٢٨٤ : ١٢٨٥ : ١٢٨٦ : ١٢٨٧ : ١٢٨٨ : ١٢٨٩ : ١٢٩٠ : ١٢٩١ : ١٢٩٢ : ١٢٩٣ : ١٢٩٤ : ١٢٩٥ : ١٢٩٦ : ١٢٩٧ : ١٢٩٨ : ١٢٩٩ : ١٣٠٠ : ١٣٠١ : ١٣٠٢ : ١٣٠٣ : ١٣٠٤ : ١٣٠٥ : ١٣٠٦ : ١٣٠٧ : ١٣٠٨ : ١٣٠٩ : ١٣١٠ : ١٣١١ : ١٣١٢ : ١٣١٣ : ١٣١٤ : ١٣١٥ : ١٣١٦ : ١٣١٧ : ١٣١٨ : ١٣١٩ : ١٣٢٠ : ١٣٢١ : ١٣٢٢ : ١٣٢٣ : ١٣٢٤ : ١٣٢٥ : ١٣٢٦ : ١٣٢٧ : ١٣٢٨ : ١٣٢٩ : ١٣٣٠ : ١٣٣١ : ١٣٣٢ : ١٣٣٣ : ١٣٣٤ : ١٣٣٥ : ١٣٣٦ : ١٣٣٧ : ١٣٣٨ : ١٣٣٩ : ١٣٤٠ : ١٣٤١ : ١٣٤٢ : ١٣٤٣ : ١٣٤٤ : ١٣٤٥ : ١٣٤٦ : ١٣٤٧ : ١٣٤٨ : ١٣٤٩ : ١٣٥٠ : ١٣٥١ : ١٣٥٢ : ١٣٥٣ : ١٣٥٤ : ١٣٥٥ : ١٣٥٦ : ١٣٥٧ : ١٣٥٨ : ١٣٥٩ : ١٣٦٠ : ١٣٦١ : ١٣٦٢ : ١٣٦٣ : ١٣٦٤ : ١٣٦٥ : ١٣٦٦ : ١٣٦٧ : ١٣٦٨ : ١٣٦٩ : ١٣٧٠ : ١٣٧١ : ١٣٧٢ : ١٣٧٣ : ١٣٧٤ : ١٣٧٥ : ١٣٧٦ : ١٣٧٧ : ١٣٧٨ : ١٣٧٩ : ١٣٨٠ : ١٣٨١ : ١٣٨٢ : ١٣٨٣ : ١٣٨٤ : ١٣٨٥ : ١٣٨٦ : ١٣٨٧ : ١٣٨٨ : ١٣٨٩ : ١٣٩٠ : ١٣٩١ : ١٣٩٢ : ١٣٩٣ : ١٣٩٤ : ١٣٩٥ : ١٣٩٦ : ١٣٩٧ : ١٣٩٨ : ١٣٩٩ : ١٤٠٠ : ١٤٠١ : ١٤٠٢ : ١٤٠٣ : ١٤٠٤ : ١٤٠٥ : ١٤٠٦ : ١٤٠٧ : ١٤٠٨ : ١٤٠٩ : ١٤١٠ : ١٤١١ : ١٤١٢ : ١٤١٣ : ١٤١٤ : ١٤١٥ : ١٤١٦ : ١٤١٧ : ١٤١٨ : ١٤١٩ : ١٤٢٠ : ١٤٢١ : ١٤٢٢ : ١٤٢٣ : ١٤٢٤ : ١٤٢٥ : ١٤٢٦ : ١٤٢٧ : ١٤٢٨ : ١٤٢٩ : ١٤٣٠ : ١٤٣١ : ١٤٣٢ : ١٤٣٣ : ١٤٣٤ : ١٤٣٥ : ١٤٣٦ : ١٤٣٧ : ١٤٣٨ : ١٤٣٩ : ١٤٤٠ : ١٤٤١ : ١٤٤٢ : ١٤٤٣ : ١٤٤٤ : ١٤٤٥ : ١٤٤٦ : ١٤٤٧ : ١٤٤٨ : ١٤٤٩ : ١٤٥٠

ولنتقدم الى ذكر تماييز تريد في اظهار الصفة الدينية في هذه المؤسسة .  
ان كثيراً من هؤلاء الاشخاص رؤساء الأسر ، ذوي القباب الحجر ، الساهرين  
على « البيت » يتصفون بصفات اكليبريكية اذ يحق لهم ان يتسوا باسم  
« الكاهن » او « الحازر » او « السادن » او « الحاجب »<sup>(١)</sup> ، وبعضهم باسم  
« الحكم »<sup>(٢)</sup> . ولا يخفى ان اكثر « الحكماء » في الجاهلية كانوا في الوقت نفسه  
من « الكهّان »<sup>(٣)</sup> ، وهؤلاء اشهرهم : شتق ، وسطيح ، وقس بن ساعدة جمعوا  
بين الصفتين<sup>(٤)</sup> . ومن حق هؤلاء ان يحكموا في الشؤون الخيرة فيصدروا  
القرارات الحاسمة . فتنقل القبيلة من مكانها ، متحوّلة الى منزل آخر<sup>(٥)</sup> . وهو  
معنى القول في افخم ما يقال عن احد هؤلاء الكهّان او الحكماء دلالة على احترام  
قومه : « كانوا يصدرون عن رأيه » او « كانت مذحج في امره تتقدم  
وتتأخر »<sup>(٦)</sup> . ولا يخفى ان هذه الحركات كانت مقرونة بالخلفات الدينية ، ولا يأتيها  
القوم الا عن رأي العرفان والزاجرين . ولا يبدي هؤلاء برأيهم الا بعد ان يسألوا  
« البيت » الموكولة اليهم سدّاته<sup>(٧)</sup> ، ويحيلوا القداح ، ويؤثّلوا مظاهر الزجر<sup>(٨)</sup> . وقد

- (١) « الحاجب » مرادف « السادن » ؛ راجع ابن دريد : ك . م . ٢٨٢ .  
(٢) « الحكم » ؛ ابن قتيبة : المعارف ٢٧ ؛ وقابل بما في المنفصل : ك . م . ١٨١ .  
« شيخنا وصاحب ديننا » ؛ الاغانى ١٢ : ١٦ : « سيد وحاكم »  
(٣) هم « حكماء اهل الجاهلية » ؛ اليعقوبي : تاريخه ١ : ٢٨٨ ؛ ابن هشام : السيرة  
٢٦٠ ؛ البخاري : الحاشية الرقم ٤٤١ يظهر انه يميز بين « الكاهن » و « الملازم » ؛ ابن  
الاثير : النهاية ١ : ٢٢٤-٢٢٥ .  
(٤) ابن هشام : السيرة ٢٦٠ ؛ الاغانى ١٢ : ٤١ ؛ ابن دريد : ك . م . ٢٨٦ ، ٢٠٢ .  
« سطوح كاهن العرب » ، اليعقوبي : تاريخه ١ : ٢٨٨ .  
(٥) الاغانى ١١ : ٤٤ ؛ Berceau, I, 267 . وهي الالتفات التي تضطر اليها القبيلة على  
اتر الازمات الداخلية او الطبيعية كالجدب والتزو وما اشبه .  
(٦) ابن دريد : ك . م . ٢٣٩ ؛ ابن الاثير : النهاية ٢ : ٤٠ . وفيها ان « المرآف »  
برادف « الكاهن »  
(٧) ان اصحاب « البيت » والعدد والشرف هم ايضاً من « سدّته » و « خزنة »  
الكعبة . اطلب . Chroniken, II, 138, 139 etc.  
(٨) قابل بقول كاهن أندلي لقومه : « لا تصجلوا . . . حتى أزرركم » ؛ الاغانى ٨ :  
٦٧ . والكاهن سجّاح ، الجاحظ : الرسائل ، ١٢ .

لا تختلف اقوالهم ، عندما يتنادون القبة - المظلة المرفوعة على ظهر الجبل ، عن  
التماير المدونة في سفر المدد : ( ١٠ : ٣٥ ) :

« قم ، يارب ، فتبدد اعدائك ويهرب مبضوك من امامك . »

وكذلك القول عن صلاة « الاستسقاء » ، وعن الميزة او الكرامة التي اختص  
بها بعضهم في استتزال المطر ، زمن الجلب . وهي ميزة يبررها عادة كون صاحبها  
يحفظ « بيت » القبيلة « وقبتها » ، ولليت والقبة مركزهما الأسى في هذه  
الأدعية الخافلة<sup>(١)</sup> . وكان الخلفاء ، بصفتهم ورثة « ارباب » البادية العربية ،  
ورثوا كذلك هذه الميزة في الاستسقاء ، كما تشهد لغة الشعر في القرن الاول  
للهجرة<sup>(٢)</sup> . وان يكن فات عالماً من امثال نولدكه ، الانتباه لهذه النتيجة ، فلأنه  
أهم العامل التاريخي الجاهلي . وتزيد ان هذه الميزة ، او الكرامة ، يحتضون بها  
بصفتهم سادة الناس ، وخلفاء الله ، كما يقول الفرزدق<sup>(٣)</sup> . ولا زانا مبالغين اذا  
ظننا الأصل نفسه لميزة اخرى يوليها العرب سادتهم او ملوكهم ، بل افراد بعض  
الأسر الشهيرة ، المحافظة على « القبة » ، وهي ان دمهم يشفي من الكلب<sup>(٤)</sup> .  
وذلك لان آباءهم اتصفوا بصفة الكهانة . وقد اتعت هذه الميزة حتى استفاد  
منها كهنة النصارى ورهبانهم في البادية ، فقدوا اطباء العرب ومعالجهم .

كل هذه الاسباب تبرر وتشرح وجود القبة الحمراء في مسكر معاوية  
وخلفائه الأقربين ، وورثة كرامات السادة في الجاهلية . ولم يتجاوز عارية انه

(١) قابل بما في المزامير ٦٧ : ٦٨ ؛ ١٣١ : ٨٠

(٢) انظر ، في ما خص مظلة مختار ، ابن دريد : ك . م . ٢٩١

(٣) اطلب ابحاثنا في *Chantre*, 70 ؛ *Poète royal*, 17, n. 1 . وقد تنح هذه  
الميزة فنشئ الامويين جميعهم ، الاخطل : ديوانه ( طبعة سالخاني ) ٥٦ ؛ الفرزدق : ديوانه  
( Boucher ) ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٢٧ ، ١٢٤ ؛ *Chroniken*, II, 6, 302 وفي الاغانى ذكر  
صلاة استسقاء يرثها اسياد القبائل ، الاغانى ٢٦ : ٣١ ، ١٨ ، ١٢ ، ٧٩ . اما نولدكه  
( *ZDMG*, 1898, 35 ) فلا يرى فيها الا صورة شعرية لقدرة الخليفة غير المحدودة . راجع  
في الكندي ( طبعة Guest ) ص ٨٢ ، كلاماً عن ولاة الامويين والاستسقاء .

(٤) الاغانى ١٦ : ٨٦

(٥) اطلب الامثلة الكثيرة في الجاحظ : الخيران ٢ : ٢-٤ ؛ ابن دريد ن . ك . م . ١٣٨

تابع عمل ابي سفيان ، وقد نام في أحد الى جنب القبة المضروبة على إلهي قريش . ولنا لنفعل عن اهتمام الخليفة الكبير بالمظاهرات الخارجية<sup>(١)</sup> .  
وكثيراً ما جمع السيد بين صفتي « الرب » « والكاهن » ، كما فعل زهير ابن جذيمة « رب » بني عسر ، بلى اننا نعرف له « ريثة » او تابعة من الجن<sup>(٢)</sup> ، وهي من ميزات العرفان .<sup>(٣)</sup> وكذلك القول عن سادن « كان له قدر » في بني ضبة .<sup>(٤)</sup> وفي فجران كانت سدانة الكعبة لآل عبد المدان ، « بيت » قومهم .<sup>(٥)</sup> وهكذا نرى ان فكرة الشرف ، وكرامة « البيت » تظل عالقة بصفة المحافظة على مبد ، كما حصل لبني عبد المدان حتى بعد اهدانهم الى النصرانية . هذا زهير بن جناب ، جذ اشهر الأسر الشريفة في بني كلب<sup>(٦)</sup> ، وسيدهم المطاع وقائدهم الأعلى ، كان في الوقت نفسه كاهناً وحازراً .<sup>(٧)</sup> وهذا مطعم بن عدي ، صاحب المقام الرفيع في شرفاء قريش<sup>(٨)</sup> ، نعرف ، بواسطة حسان<sup>(٩)</sup> ، انه كان يجمع بين الصفات الاجتماعية والدينية فكان « عظيم المشمرين ورثها » . وهذا كليب

(١) راجع كتابنا *Mo'âwiz* .

(٢) الاغاني ١٠ : ١٣ ، ١٢ ، ١٥ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ١ : ١١٠ ، ١٢٦ ، وهو يذكر كاهنة انثى : السيرة احلية ١ : ٣٩٠ وقد يطلق على هذا الجني الأليف اسم « الرئي » و « صاحب » ، الاغاني ٣ : ١٨٨ ، ١٨٦ ؛ ١٣ : ٣٠ ؛ و « الآطي » وهو المكلف تفسير الاحلام المنبئة بالشيء ، الاغاني ٩ : ١٨٢ . قابل بما في ابن الاثير : النهاية ١ : ١٠٩ ؛ ٢ : ٥٥ ؛ امد القابة ٢ : ١٣٦ ، ١٣٣ ؛ السهري : الوفاء ١ : ١٢٢ ؛ ابن هشام : السيرة ١٢٢ ، ١٨٦ ، ١٨٨ .

(٤) ابن دريد ك . م . ١١٩ .

(٥) ابن دريد ك . م . ٢٢٧ .

(٦) ابن دريد ك . م . ٢١٦ .

(٧) راجع *Berceaus* , I, 204, 267 . « الحازر » جمه « حزاره » نوع من العرفانين

يقرب من « الفائف » ، الاغاني ١٠ : ٢٨ .

(٨) ابن دريد : ك . م . ٥٤٠ .

(٩) ديوانه ٨٨ : ٢ . ولنا في بعض النصوص تصريح باسم الاله الذي يحفظونه او يستدون له هو مثل ود ، وبنس ، ابن دريد ك . م . ٢٢٧ ؛ البكري : المعجم ٣٤ . ويصريح بصفة « الكاهن » عند ذكر بعض السادة ، البكري ٢٤ . ويذكر ابن هشام : السيرة ٢٧٥ ، ان حنيفة ، حما قمي ، كان سيد مكة وسادن الكعبة .

اخو المهلهل، كان « رب » وانث . فكانت بكر وتقلب لا تصدران ولا تنتلان  
 الآ عن رأبه . وهو ما رأيناه في حديث زهير بن جناب والأقوه الأودي .<sup>(١)</sup>  
 حتى امكتنا القول ان هناك كثيراً من السادة شاركوا زهيراً وكنياً والأقوه  
 بهذه الميزة العالقة بالصفة الدينية . والى هذه الصفة الدينية<sup>(٢)</sup> ترتقي الأجداد التي  
 اقتخر بها احفادهم ، فدونها النشابة بقولهم : « هم اول بيت في قضاة »<sup>(٣)</sup> ، او  
 « هم بيت قيس » او « بيت بني الديان »<sup>(٤)</sup>

ومن هنا نفهم موقف زهير بن جناب من بني غطفان . وكان هؤلاء تحت  
 سيطرة الكليين مدة طويلة حتى شاوروا الاستقلال فقاموا بثورة عامة .  
 فازاد زهير ، سيد الكليين ، ان يعاقبهم ويقتص منهم . وكان اول اعماله  
 انه امر يهدم حرَمهم واتهاكه ، والحرَم المذكور دلالة استقلالهم<sup>(٥)</sup> . ولا يخفى ان  
 الحرم يفرض وجود « البيت » . وهكذا فان الميزة الدينية الأصل اصبحت  
 مقرونة بل متوحدة بفكرة المجد الوطني والاستقلال السياسي . أولاً زى  
 الظاهرة نفسها في الكنائس الشرقية التي كان يتقدم استقلالها الديني استقلالها  
 السياسي وكثيراً ما كان يعده ويعمل في سبيله<sup>(٦)</sup> . وهذا تاريخ البلقان كليل  
 باقرار هذا القول !

(١) شيخو : شعراء النمرانية ٧٠، ١٦٦ . الاغانى ١٥١:٤ . ويفرض اجتماع اليادة  
 واليدانية ، الجاحظ : الرسائل ٧٥

(٢) البكري : ك . م . ٣٤ ؛ ابن دريد : ك . م . ٢٧٩ : كامن - سيد

(٣) البكري : ك . م . ٣٤ ، ٥٤ ؛ الاغانى ١٩:٥٣ . جرير بن عبد الله « رب  
 مروان » ، الاغانى ١٨:٢١٤ ، وهل يكون مروان اسم « بيت » او حجر مؤله ؟

(٤) الاغانى ١٧:١٠٥

(٥) الاغانى ٣١:١٤ . ولا شك في ان هذه الحكاية ، الرامية الى اقرار سيادة كلب  
 على التبيين ، متأخرة عن زمن الماركة المتتابعة بين الحزبين على عهد الامويين . وقد يكون فيها  
 الكثير من مبالغات الحزب السوري - الاموي ولايساً في الحوادث البطولية المنسوبة الى  
 زهير . راجع بجشا : *L'avènement des Marwanides et le califat de Marwan* ،

*MUSJ*, XII, fasc. 2, pp. 21...

(٦) كما جرى للشب البناري .